العالِم الرَبَّانِي وأثَرُهُ في تَوحيدِ الأُمَّة

م. أيسر فائق جهاد الآلوسي
كلية العلوم الإسلامية / الرمادي
قسم العقيدة والدعوة والفكر
تخصص (عقيدة)

م. تكليف لطيف رزج الدليمي
كلية العلوم الإسلامية / الرمادي
قسم العقيدة والدعوة والفكر
تخصص (فكر إسلامي)

مقدمة

الحمدلله رب العالمين الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي تنزه عن الوالد والولد، المقصود وحده في الحوائج، العالم بخفايا القلوب وأسرارها، والخبير بعواقب الأمور خيرها وشرها، والصلاة والسلام على من اصطفاه من بين خلقه ليكون للعالمين نذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، الرحمة المهداة مُكمِّل الأخلاق من علمه أخذ الأولون وينهل منه الآخرون، قدوة للعلماء العاملين الدعاة الربّانيين الذين خصّهم بالوراثة .

وبعد :

فإن العلم الربّاني لا يمكن أن يكون كلاماً يقال أو سطوراً تكتب في مقال، بل هو علم الحال قبل المقال ومعرفة المآل وما سوف يكون عليه الناس يوم العرض على الله تعالى، هذا العلم أو من يتّصف به لا بد له من عدة ولا بد من صفات يتّصف بها صاحبه لكي ينطبق عليه القول بأنه ربّاني .

لقد كان الرعيل الأول من المهاجرين والأنصار متّصفين بهذا العلم، فكانوا فرساناً في النهار، رهباناً في الليل قرنوا العلم بالعمل فكان العمل تاجاً لعلمهم وناطقاً بحالهم ولم يحتاجوا إلى التكلّف أو التصنّع لأجل الوصول إلى غاياتهم، بل صدقوا في

نيّاتهم وأخلصوا في عملهم وأوفوا بعهودهم، قال تعالى: ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّـهَ عَلَيْـهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** ﴾ (الأحزاب:٢٣)، فكانت التقوى لباسهم والورع ردائهم والخشية من الله ديدناً لهم فملكوا الدنيا بعلمهم وعملهم ، فكانوا نجوماً يهتدي بهم كل من اقتدى بهم فهم الذين قال عنهم رسول الله ﷺ: ((**أصحابي كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم**))[1] فأصبحوا سادة الأمة وكبرائها ومن خيرة أهلها فقال عنهم المولى ﷻ : ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّـهِ** ﴾ (آل عمران: من الآية١١٠) فنشروا دين الله في أرضه فعمَّ الدنيا كلها قاصيها ودانيها عربيّها وأعجميّها ، وجمعوا كلمة الناس وقلوبهم تحت راية التوحيد بأخلاقهم وسلوكهم وهذا كله بفضل الله الذي تفضل به عليهم بعد أن علم ما في قلوبهم ففتح الله على أيديهم الأمصار ونشروا دينه فيها، قال تعالى: ﴿ **فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً** ﴾ (الفتح: من الآية١٨) ، فهذه هي صفات ومقومات العالم الربّاني الذي تحتاجه الأمة اليوم لتوحيدها وإعادتها إلى جادة الطريق وجمع قلوبها بكلمة التوحيد بعد أن افترقت واختلفت وتنازعت فأصبحت هينة ضعيفة أمام أعدائها، فتوحيد الأمة قائم بوجود العلماء الربّانيين فهم نواة المجتمع يغذونه بالعلم والمعرفة والمحبة والتآلف، فلا بد من وصف العالم الربّاني وبيان أثره في توحيد الأمة وهذا ما تضمنه بحثنا هذا الذي هو بعنوان (**العالم الربّاني وأثره في توحيد الأمة**) وجاء البحث مقسماً بعد هذه المقدمة إلى مبحثين .

---

(١) مشكاة المصابيح : لمحمد بن عبدالله الخطيب التبريزي، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي . بيروت ط/٣ ، ١٩٨٥م: ١٦٩٦/٣(٦٠١٨).

المبحث الأول : في تعريف العالم الربّاني وشروطه وعلاماته ،

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الربّاني لغةً واصطلاحاً .

المطلب الثاني : شروط العالم الربّاني .

والمطلب الثالث : علامات العالم الربّاني .

المبحث الثاني : في دور العلماء الربّانيين في توحيد الأمة ،

وتضمن مطلبين :

المطلب الأول : في أسباب اختلاف الأمة المذموم وآثاره .

وفيه فرعين :

الفرع الأول : أسباب الاختلاف المذموم .

والفرع الثاني : آثار الاختلاف المذموم .

المطلب الثاني : في ملامح توحيد الأمة في الواقع المعاصر ودور العلماء فيه .

وفيه فرعين:

الفرع الأول : في ملامح توحيد الأمة .

والفرع الثاني : في دور العلماء في توحيد الأمة .

ومن ثم **الخاتمة** وذكرنا فيها ما توصلنا إليه من نتائج في البحث، وقائمة بالمصادر التي اعتمدناها فيه.

فما كان فيه من الصواب فمن الله وتوفيقه وما كان فيه من خطأ فمن أنفسنا نسأل الله العفو عنه وقبول هذا العمل وأن ينفعنا به .... آمين .

المبحث الأول
العالم الرباني (تعريفه ، شروطه ، علاماته)

إن مهمة الأنبياء الذين أرسلهم الله للبشر هي الدعوة إلى إخلاص العبادة لله سبحانه لقوله تعالى : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ** ﴾ (البينة: من الآية٥) ، والدعوة إلى الربّانية وليس استعباد الناس ، بُعثوا لإخراج الناس من ذل المعصية إلى عز الطاعة ، ومن حال عبودية المخلوق إلى عبودية الله تعالى وهذه المهمة تكون على عاتق العلماء بعد الأنبياء ، قال تعالى : ﴿ **وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ**﴾ (آل عمران: من الآية٧٩)، وهم الذين قال فيهم الإمام أحمد بن حنبل ﷺ في خطبته المشهورة : الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى يَحيون ويُحيون بكتاب الله تعالى الموتى ويُبَصِّرون بنور الله أهل العمى ، فكم من قتيل لإبليس أحيوه وكم من ضال تائه قد هدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين[١]، فهم ورثة الأنبياء يهدون إلى الحق ويرشدون إليه فلولاهم لما استنارت قلوب الناس بنور الهدى وعرفوا المعروف وأنكروا المنكر، وقد أحسن ابن القيّم[٢](رحمه الله تعالى) وصفهم: (بأنهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء

(١) ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين : لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت٧٥١هـ) ، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل . بيروت ١٩٧٣م:٩/١

(٢) ابن قيم الجوزية: هو محمد بن ابي بكر بن ايوب بن سعد بن قيم الجوزية، ولد بمدينة دمشق سنة (٦٩١هـ) في بيت متواضع ونشأ محبا للعلم والعلماء، له تصانيف كثيرة منها (مدارج السالكين، الوابل الصيب من الكلم الطيب، والجواب الشافي) توفي في دمشق سنة (٧٥١هـ)، ينظر: البداية والنهاية: لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء (ت ٧٧٤هـ)، مكتبة المعارف، بيروت:٢٣٤/١٤، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب : لعبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط ، دار بن كثير – دمشق ط/١ ، ١٤٠٦هـ:١٦٨/٦.

بهم يهتدي الحيران في الظلماء ، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء)[١] لأن دعوتهم لهم دائماً: كونوا ربّانيين.(عن كميل بن زياد[٢] قال: أخذ بيدي علي بن أبي طالب ﷺ فأخرجني إلى ناحية الجبانة فلما أصحر تنفس، ثم قال: يا كميل إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها، إحفظ عني ما أقول لك: الناس ثلاثة، عالم ربّاني، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق)[٣] .

إذن ما معنى (ربّانيون) ، ومن هو العالم الربّاني ، وما هي شروطه وعلاماته ؟ هذا ما سنبينه في المطالب الآتية:

---

(١) إعلام الموقعين:١٩/١ .

(٢) كميل بن زياد ابن نهيك بن هيثم النخعي الصهباني الكوفي حدث عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي هريرة صاحب علي ﷺ وشهد مع علي صفين وكان شجاعاً فاتكاً وزاهداً عابداً وقد عاش مائة سنة قتله الحجاج في حدود التسعين للهجرة وقيل مات سنة اثنتين وثمانين . ينظر: تاريخ خليفة بن خياط : لخليفة بن خياط الليثي العصفري أبو عمر(ت ٢٤٠هـ)، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري ، دار القلم ، مؤسسة الرسالة، دمشق ، بيروت ط/٢، ١٣٩٧هـ:٢٨٨/١، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: د. عمر عبدالسلام تدمرى ، دار الكتاب العربي – لبنان/ بيروت، ط/١ ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م:١٧٦/٦.

(٣) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١ ، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م:١١٦/١، وينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير: لعبدالرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ط/١، ١٣٥٦هـ:٢٩٤/٦، وتاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل: لأبي القاسم علي بن الحسن الشافعي (ت٥٧١هـ)، تحقيق : محب الدين أبي سعيد بن غرامة العمري ، دار الفكر، بيروت ١٩٩٥م:٢٥٢/٥٠.

المطلب الأول

تعريف الربّاني لغةً واصطلاحاً

الربّانيون في اللغة : جمع ربّاني ، منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون للمبالغة في التوصيف والنسبة كلحياني وشعراني لعظيم اللحية وكثير الشعر(١) .

وفي الاصطلاح : اختلف العلماء في معنى (ربّاني) بناءً على اختلاف فهمهم لنوع العلاقة بين المنسوب والمنسوب إليه في كلمة (ربّاني) :

- فبعضهم نسبها إلى (العلم) فقال: هم كاملو العلم، وسُمّوا بذلك لقيامهم بالكتب(٢) .
- ومنهم من نسبها إلى (المعرفة بالله تعالى) فقال: الربّاني المتألّه العارف بالله ﷻ(٣).
- وبعضهم ذهب إلى أن معنى (ربّاني) بمعنى (التربية)، لأنهم يربّون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها ويعلمهم ويصلحهم ويقوم بأمرهم(٤)، كما

---

(١) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة المرسي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية، بيروت ط/١ ، ٢٠٠٠م:٢٣٥/١٠، والفائق في غريب الحديث: لمحمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة، لبنان ط/٢:٢٩/٢، ولسان العرب: لمحمد بن مكرم بن منظور(ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت ط/١:١/٤٠٤.

(٢) ينظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار : للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى السبتي (ت ٥٤٤هـ) ، المكتبة العتيقة ودار التراث:٢٧٨/١، والتبيان في تفسير غريب القرآن : لشهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق : فتحي أنور الدابلوي ، دار الصحابة للتراث بطنطا، مصر ط/١ ، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م:١/١٥٠.

(٣) ينظر: مختار الصحاح : لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي (ت ٧٢١هـ)، تحقيق : محمود خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ، طبعة جديدة ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م:٩٦/١، والقاموس المحيط : لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة . بيروت:١١١/١.

(٤) ينظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ط/١ ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م:٩٨/٨، والنهاية في غريب الحديث والأثر: لأبي السعادات المبارك بن

يربي الوالد ولده فيربونهم بالتدرج والترقي من صغار العلم إلى كباره وتحميلهم منه ما يطيقون كما يفعل الأب بولده الطفل في إيصال الغذاء إليه[١] .

- وذهب البعض الآخر إلى أن معناه هو: شديد التمسك بدين الله وطاعته[٢] .
- وقيل (الربّاني): هو الذي جمع إلى العلم والفقه البصر بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية وما يصلحهم في دينهم ودنياهم[٣] .

إذن خلاصة القول في تعريف العالم الربّاني: هو كل عارف بالله بالعلم ، المربي لغيره الشديد التمسك بدين الله وطاعته الذي جمع بين العلم والفقه العلم الذي يدفعه للعمل ، المتصف بالسلوك والأخلاق التي اكتسبها من العلم والمعرفة .

المطلب الثاني

شروط العالم الربّاني

أولاً : أن يكـون عالمـاً معلمـاً عـاملاً بعلمـه، فـالعلم أسـاس الأعمـال وإمامهـا ومصـححها فكمـا أنـه لا فائـدة للعلـم بـلا عمـل كـذلك لا ينفـع عمـل بـلا علـم ، فـالعلم والعمـل توأمـان لا ينفكـان عـن بعضـهما والسـالك فـي طريـق الإيمـان والتعـرف علـى الله والوصول إلى رضاه لا يستغني عن العلم في أية مرحلة من مراحل سلوكه[٤]، فالعالم لا يكذب قوله فعله لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار

محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية، بيروت ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م:١٨١/٢.

(١) ينظر: مفتاح دار السعادة : لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه : بشير محمد عيون ، مكتبة دار البيان ط/٢ ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م:١٠٧/١

(٢) ينظر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت ٥٣٨هـ)، تحقيق : عبدالرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي . بيروت:٤٠٥/١.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية، لبنان ط/١ ، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م:٤٦٢/١، وتفسير البغوي: للبغوي، تحقيق : خالد عبدالرحمن العك ، دار المعرفة . بيروت:٣٢١/١.

(٤) ينظر: حقائق عن التصوّف: للشيخ عبدالقادر عيسى، دار العرفان، سورية ، حلب ط/١٩ ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م:٩١.

أكثر فإذا خالف العمل العلم منع الرشد وسخر الناس به[١]، قال تعالى: ﴿ **أَتَـأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ (البقرة:٤٤) ، والعلم المطلوب من العالم الربّاني هو علمه بالفرائض لعينية من أحكام العبادات والمعاملات والبيوع .. الخ ، وكذلك العلم بعقيدة أهل السنة والجماعة في التوحيد فيعرف ما يجب لله تعالى وما يجوز وما يستحيل إجمالاً وتفصيلاً ، وكذلك في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام وهكذا سائر أركان الإيمان[٢] . والعلم الذي هو مصدر تشريف الله للعلماء وعلة التكريم ، قد يكون سبباً للشقاء في الدنيا والآخرة وموجباً للذم عند الله وعند الناس إذا لم يقترن به من العمل ما ينفع صاحبه والأمة من بعده ، ولذلك فإن من الأهمية التأكيد على أن من يجتهد فيما يطيق من العمل الصالح ونفع الأمة بما معه من العلم في أشرف المنازل وأسناها، ولهذا لما ذكر معروف الكرخي[٣](رحمه الله تعالى) في مجلس الإمام أحمد[٤]:(فقال بعض من حضر: هو قصير العلم ، فقال له

(١) ينظر : إحياء علوم الدين: لمحمد بن محمد أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت:٥٨/١، والمهذب من إحياء علوم الدين: لصالح أحمد الشامي، دار القلم، دمشق ، الدار الشامية، بيروت ط/٢ ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م:٦٨/١.

(٢) ينظر: حقائق عن التصوّف:٦٩ .

(٣) معروف الكرخي هو زاهد العراق وشيخ الوقت أبو محفوظ معروف بن الفيرزان وقيل ابن فيروز من أهل كرخ بغداد وقيل كنيته أبو الحسن، صاحب الأحول والكرامات، كان أبواه نصرانيين فأسلماه إلى مؤدبهم فقال له إن الله ثالث ثلاثة فقال بل هو الله أحد فضربه فهرب وأسلم على يد علي بن موسى الرضي ورجع إلى أبويه فأسلما واشتهرت بركاته وإجابة دعوته . ينظر: تاريخ الإسلام:٣٩٩/١٣، و شذرات الذهب في أخبار من ذهب:٣٦٠/١ .

(٤) احمد بن حنبل: وهو احمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد أبو عبدالله إمام المحدثين، مروزي الأصل، قدمت أمه بغداد وهي حامل فولدته، ونشأ بها وطلب العلم، وسمع الحديث من شيوخها ثم رحل إلى الكوفة والبصرة ومكة المكرمة والمدينة واليمن والشام والجزيرة، فكتب عن علماء ذلك العصر، ولد سنة (١٦٤هـ) وتوفي سنة (٢٤١هـ) في يوم الجمعة في ربيع الأول وهو ابن سبع وسبعين سنة، ينظر: تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت (بلا ت):٤١٢/٤.

الإمام أحمد : أمسك عافاك الله ، وهل يراد من العلم إلاّ ما وصل إليه معرو)[١]، فالعلم والعمل به من صفات الكمال التي اجتمعت في سيدنا إبراهيم عليه السلام حيث أثنى عليه ﷻ بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ (النحل:١٢٠) فوصفه ﷻ بأنه أمة، والأمة: هو القدوة الذي يؤتم به، قال ابن مسعود[٢] رضي الله عنه: والأمة، المعلم للخير فالله ﷻ مدح خليله بأربع صفات كلها ترجع إلى العلم والعمل بموجبه وتعليمه ونشره فعاد الكمال كله إلى العلم والعمل بموجبه ودعوة الخلق إليه[٣] .

وقد جمع الله تعالى لأهل العلم من الفضائل ما لم يكن لغيرهم منها :

١- **الخشية** : فأهل العلم هم أهل الخشية وقد خصّهم الله ﷻ بذلك بقوله: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ** ﴾ (فاطر: من الآية٢٨)، (قال الربيع بن أنس[٤]: من لم يخشَ الله ﷻ فليس بعالم ، وقال مجاهد: إنما العالم من

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية : الإمام أبي عبدالله محمد بن مفلح المقدسي (ت ٧٦٣هـ) : ٢/ ٢٢٦ ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط . عمر القيام ، مؤسسة الرسالة . بيروت ط/٢ ، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .

(٢) عبدالله بن مسعود: هو عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي (أبو عبد الرحمن) من أهل مكة من أكابر الصحابة، ومن السابقين إلى الإسلام هاجر إلى ارض الحبشة الهجرتين شهد بدراً واحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ كان ملازماً لرسول الله ﷺ، أخذ من فيه سبيعن سورة لا ينازعه فيها أحد بعثه عمر إلى أهل الكوفة ليعلمهم أمور دينهم له في الصحيحين(٨٤٨حديثاً)، ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة : لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني(ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار الجيل – بيروت ط/١، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م:٣٦٨/٢.

(٣) ينظر: مفتاح دار السعادة:٢٦٨/١ – ٢٦٩ .

(٤) الربيع بن أنس البكري الحنفي، لقي ابن عمر وأنس بن مالك وجابر وهرب في زمن الحجاج ودخل مرو وسكن فيها وكانت وفاته في خلافة أبي جعفر، سنة ست وثلاثين ومائة، ينظر: الوافي بالوفيات: لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م:٥٦/١٤، وطبقات المفسرين للداودي: لأحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي ، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط/١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م:١٦/١.

خشـيَ الله ﷻ ، وعن ابن مسعود: كفى بخشية الله تعالى علماً وبالإغترار جهلاً)[١]، وجاء في تفسير النسفي: (وتقديم اسم الله تعالى وتأخير العلماء يؤذن أن معناه : أن الذين يخشون الله من عباده العلماء دون غيرهم)[٢]. وقال السعدي: (فكل من كان بالله أعلم كان أكثر له خشية وأوجبت له خشية الله الإنكفاف عن المعاصي والإستعداد للقاء من يخشاه ، وهذا دليل على فضيلة العلم فإنه داع إلى خشية الله وأهل خشيته هم أهل كرامته)[٣] .

٢- **الوراثة النبويّة:** قال ﷺ: **((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة والملائكة تضع أجنحتها رضاً لطالب العلم وإن العالم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب إن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً وأورثوا العلم النافع فمن أخذ به أخذ بحظٍ وافر))**[٤]، قال ابن القيّم (رحمه الله تعالى): (هذا من أعظم المناقب لأهل العلم ، فإن الأنبياء خير خلق الله فورثتهم خير الخلق بعدهم ولما كان كل موروث ينتقل ميراثه إلى مورثه إذ هم

---

(١) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، دار الشعب، القاهرة (بلا ت):٣٤٣/١٤.

(٢) تفسير النسفي: للنسفي:٣٤٢/٣ بدون بطاقة .

(٣) تفسير السعدي: لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: ابن عثيمين، مؤسسة الرسالة، بيروت١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م:٦٨٩/١.

(٤) سنن أبي داوود : لسليمان بن الأشعث أبو داوود السجستاني الأزدي(ت ٢٧٥هـ)، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار الفكر (بلا ت): باب الحث على طلب العلم:٣١٧/٣ (٣٦٤١)، وصحيح ابن حبان: لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم البستي(ت ٣٥٤هـ)، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٢ ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م: ذكر وصف العلماء الذين لهم الفضل:٢٨٩/١ (٨٨)، وموارد الضمآن: لعلي بن أبي بكر الهيثمي(ت ٨٠٧هـ)، تحقيق: محمد عبدالرزاق حمزة ، دار الكتب العلمية . بيروت: باب طلب العلم والرحلة فيه: ٤٩/١ (٨٠) .

الذين يقومون مقامه من بعده ولم يكن بعد الرسل من يقوم مقامهم في تبليغ ما أرسلوا به إلاّ العلماء ، كانوا أحق الناس بميراثهم)[١]،(ورثة الأنبياء سادات أولياء الله ﷻ)[٢].

٣- **الدرجات الرفيعة:** إن الله ﷻ يرفع أهل العلم في الآخرة وفي الدنيا، ففي الآخرة يرفعهم درجات بحسب ما قاموا به من الدعوة إلى الله والعمل بما علموا، قال تعالى: ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ (المجادلة: من الآية١١) ، قال الطبري[٣](رحمه الله تعالى): (يرفع الله الذين أوتوا العلم من أهل الإيمان على المؤمنين الذين يؤتَوا العلم بفضل علمهم درجات إذا عملوا بما أُمروا به)[٤] . وقال ابن حجر[٥](رحمه الله تعالى): (قيل في تفسيرها: يرفع الله المؤمن العالم على المؤمن غير العالم، ورفعة الدرجات تدل على الفضل، إذ المراد به كثرة الثواب وبها ترتفع الدرجات ورفعتها تشمل المعنوية في الدنيا بعلوّ المنزلة وحسن الصيت والحسبة في الآخرة بعلوّ المنزلة في الجنة)[٦]، قال ابن عباس[٧]

---

(١) مفتاح دار السعادة:١٠٧/١ .

(٢) المصدر نفسه:١٠٧/١ .

(٣) الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ والمصنفات الكثيرة ومولده بآمل طبرستان سنة أربع عشرة ومئتين وتوفي ليومين بقيا من شوال وكان ذا زهد وقناعة توفي ببغداد سنة عشر وثلاثمائة . ينظر: العبر في خبر من غبر: لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي(ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت – الكويت، ط/٢ ، ١٩٨٤م:١٥٢/٢، وشذرات الذهب:٢٦٠/٢.

(٤) تفسير الطبري: لمحمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري(ت٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت ١٤٠٥هـ:١٩/٢٨.

(٥) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني العالم الفاضل المحقق العلامة المدقق صنف تجريد التفسير من صحيح البخاري وصنف الإحكام لما وقع في القرآن من الإبهام وكانت وفاته سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة . ينظر : طبقات المفسرين:١/ ٣٢٩ .

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري : لأبن حجر العسقلاني(ت ٨٥٢هـ)، تحقيق : محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت:١٤١/١.

(٧) عبدالله بن عباس: هو عبدالله بن عباس بن عبد المطلب ﷺ ، الإمام البحر عالم العصر أبو العباس الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ وابو الخلفاء ، مات رسول الله ﷺ ولعبدالله ثلاث عشرة سنة ، مات بالطائف سنة (٦٨هـ) وصلّى عليه محمد بن الحنفية . ينظر : تذكرة الحفاظ أطراف أحاديث المجروحين لإبن حبان: لمحمد بن طاهر بن القيلاني (ت ٥٠٧هـ)، تحقيق: حمدي عبدالمجيد إسماعيل السلفي، دار الصميعي ، الرياض ، ط / ١ ، ١٤١٥هـ:٤٠/١.

(رضي الله عنهما): (للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام)[١]، والله سبحانه أخبر في كتابه برفع الدرجات في أربعة مواضع ثلاثة منها (لأهل الإيمان الذي هو العلم النافع والعمل الصالح)، فالموضع الأول في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّـهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّـهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّـهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ (المجادلة:١١)، والموضع الثاني في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّـهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۞ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** ﴾(الأنفال:٢- ٤) ، والموضع الثالث في قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى** ﴾ (طه:٧٥)، والرابع منها لأهل الجهاد، قال تعالى: ﴿ **وَفَضَّلَ اللَّـهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً ۞ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّـهُ غَفُوراً رَحِيماً** ﴾ (النساء:٩٥- ٩٦) ، فهذه أربعة مواضع يرفع الله بها الدرجات فعادت رفعة الدرجات كلها إلى العلم والجهاد اللذين بهما قوام الدين[٢] .

٤- **الشهادة على الحق وأجل مشهود وهو توحيد الله ﷻ** : فالإنسان بالعلم يكون من الشهداء على الحق والدليل قوله تعالى : ﴿ **شَهِدَ اللَّـهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ (آل عمران:١٨) ، قال ابن

(١) مختصر منهاج القاصدين : للإمام أحمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدسي، تقديم وتحقيق: خالد بن محمد بن عثمان ، مكتبة الصفا . القاهرة ط/١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م:٨.

(٢) ينظر : مفتاح دار السعادة:٨٢/١ - ٨٣ .

كثير[١](رحمه الله تعالى): (ثم قرن شهادة ملائكته وأولي العلم بشهادته ، وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام)[٢]، وقال ابن القيّم (رحمه الله تعالى): (استشهد سبحانه بأولي العلم على أجل مشهود عليه وهو توحيده فقال: ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ (آل عمران:١٨)، وهذا يدل على فضل العلم وأهله)[٣] .

٥- **استشهاده سبحانه بأقوال أهل العلم يوم القيامة:** قال ابن القيّم(رحمه الله تعالى): (إنه سبحانه استشهد بأهل العلم والإيمان يوم القيامة على بطلان قول الكفار، فقال تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ (الروم:٥٥- ٥٦)))[٤]، وقال ابن كثير (رحمه الله تعالى): (أي فيردّ عليهم المؤمنون العلماء في الآخرة كما أقاموا عليهم حجة الله في الدنيا)[٥] .

٦- **نفي التسوية بين أهل العلم وأهل الجهل** : فالله ﷻ نفى التسوية بين العالم وغيره كما نفى التسوية بين الخبيث والطيب وبين الأعمى والبصير وبين النور والظلمة وهذا يدل على أن منزلة العالم من الجاهل كمنزلة النور من الظلمة، والظل من

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القيسي البصروي الشيخ عماد الدين ولد سنة سبعمائة أو بعدها بيسير ومات أبوه سنة (٧٠٣) ونشأ بدمشق، وله تصانيف مفيدة مات في شعبان سنة (٧٧٤) وكان قد أضر في أواخر عمره . ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : لإبن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، الهند ط/٢ ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م:١/٤٤٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم : لإسماعيل بن عمر بن كثير(ت ٧٧٤هـ)، دار الفكر، بيروت ١٤٠١هـ:١/٣٥٤.

(٣) مفتاح دار السعادة :١/٧٩ .

(٤) المصدر نفسه:١/٨٣ .

(٥) تفسير القرآن العظيم:٣/٤٤١ .

الحرور، والطيب من الخبيث وهذا كاف في شرف العلم وأهله[١]، فقال ﷻ : ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾ (الزمر: من الآية٩)، قال أبو حيان[٢](رحمه الله تعالى): (وفي الآية دليل على فضل قيام الليل وأنه أرجح من قيام النهار ولما ذكر العمل ذكر العلم فدلَّ أن كمال الإنسان محصور في هذين المقصودين فكما لا يستوي هذان كذلك لا يستوي المطيع والعاصي)[٣] .

٧- **تسهيل طريق الجنة لأهل العلم:** عن أبي هريرة [٤] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((**من سلك طريقاً فيه يتلمس علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنة**))[٥] ، وقال ابن حجر (رحمه الله تعالى): (فيه بشارة بتسهيل العلم على طالبه ، لأن طلبه من الطرق الموصلة إلى الجنة)[٦] .

---

(١) ينظر: مفتاح دار السعادة:١/٢٦٦ .

(٢) أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي وقرأ علم الفقه على مذهب الإمام الشافعي ﷺ وغيره من العلوم على شيخ الإسلام علامة الزمان تقي الدين أبي الحسن علي السبكي الشافعي . ينظر: الوافي بالوفيات:٣/٢٣٦.

(٣) البحر المحيط: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط/١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م:٧/٤٠٢.

(٤) أبو هريرة : هو عبد الرحمن بن صخر ، من قبيلة دوس وقيل في اسمه غير ذلك ، صحابي راوية للإسلام ، أكثر الصحابة رواية أسلم سنة (٧هـ) ، وهاجر إلى المدينة ولزم صحبة النبي ﷺ فروى عنه أكثر من (خمسة الآف حديث) . ينظر: الأعلام : للزركلي، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط/٩، ١٩٩٠م:٤/٨٠.

(٥) المستدرك على الصحيحين : لمحمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري(ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ط/١، ١٤١١هـ ١٩٩٠م: كتاب العلم:١/١٦٥(٣٠٠).

(٦) فتح الباري : ابن حجر العسقلاني : ١/١٦٠ .

وعن أنس[١] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :((**من خرج يريد علماً يتعلمه فتح له باب إلى الجنة، وفرشت له الملائكة أكتافها، وصلت عليه ملائكة السماوات وحيتان البحور**))[٢].

قال ابن القيّم (رحمه الله تعالى): (والطريق التي يسلكها إلى الجنة جزاء على سلوكه في الدنيا طريق العلم الموصلة إلى رضا ربه ووضع الملائكة أجنحتها له تواضعاً له وتوقيراً وإكراماً لما يحمله من ميراث النبوّة ويطلبه وهو يدل على المحبة والتعظيم)[٣]، والله ﷻ جعل الجنة جزاء المحسنين وجعل إتيان العلم والحكمة للمحسنين ، قال تعالى: ﴿ **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** ﴾ (القصص:١٤)، (فجعل إتيان العلم والحكمة جزاء الإحسان ، لأنهما يؤديان إلى الجنة التي هي جزاء المحسنين)[٤] .

٨- **خصوصيّتهم بالدعوة إلى الله تعالى:** قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ (يوسف:١٠٨) ، قال ابن القيّم (رحمه الله تعالى): (وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلّها وأفضلها فهي لا تحصل إلاّ بالعلم الذي يدعوا به وإليه ، بل لا بد

---

(١) أنس بن مالك : هو أنس بن مالك بن النظر البخاري الخزرجي الأنصاري ، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه خدمه إلى أن قبض ثم رحل إلى دمشق ومنها إلى البصرة فمات بها من مات من الصحابة ، له في الصحيحين (٢٢٨٦) حديث . ينظر: صفة الصفوة: لجمال الدين أبو الفرج بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، تحقيق: محمود مانوري ، دار المعرفة، بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م:٢٩٨/١.

(٢) كنز العمال: طلب العلم واجب على كل مسلم:٦٩/١٠(٢٨٨٢٣) ، والتدوين في أخبار قزوين: لعبدالكريم بن محمد الرافعي القزويني: تحقيق : عزيز الله العطاري ، دار الكتب العلمية . بيروت ١٩٨٧م، عن أبي الدرداء بلفظ: (من غدا يريد علماً):٤٦٢/٣ .

(٣) مفتاح دار السعادة :١٠٣/١ .

(٤) إعراب القرآن: لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس(ت ٣٣٨هـ)، تحقيق : د. زهير غازي زاهد ، عالم الكتب . بيروت ط/٣ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م:٢٣١/٣.

في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد يصل إليه السعي ، ويكفي هذا في شرف العلم أن صاحبه يجوز به هذا المقام ، والله يؤتي فضله من يشاء)[١]، وفضائل العلم والعلماء أكثر من أن تحصى وما ذكرناه هو جزء يسير من هذا الفضل العظيم الذي خصَّ الله به العلم وأهله .

ثانياً: الرسوخ في العلم: قال تعالى: ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾ (آل عمران: من الآية٧) ، جاء في تفسير البغوي ما نصه: (وهم الداخلون في العلم الذين أتقنوا علمهم بحيث لا يدخل في معرفتهم شك ، وأصله من رسوخ الشيء وهو ثبوته)[٢]، فالعالم الربّاني متمكناً في العلم متعمقاً فيه مبالغاً في إتقانه وتحصيله والاستمرار عليه ، قال الإمام مالك بن أنس[٣] ﷺ : (لا ينبغي لأحد يكون عنده العلم أن يترك التعلّم)[٤] .

ثالثاً : حُسنُ الخُلُق: فهو رسالة الإسلام، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**))[٥]، فالعالم الربّاني يجب أن يكون خُلُقه القرآن إقتداءً برسول الله ﷺ، (فقد سُئلت سيدتنا عائشة رضي الله عنها عن خُلُق رسول

---

(١) مفتاح دار السعادة:٢٣٩/١ .

(٢) تفسير البغوي:٢٨٠/١ .

(٣) هو الإمام العالم شيخ الإسلام أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر، ولد سنة ثلاث وتسعين سمعه منه يحيى بن بكير وهي السنة التي مات فيها أنس بن مالك الأنصاري خادم النبي ﷺ وقال أبو داوود ولد سنة اثنتين وتسعين . ينظر : تاريخ الإسلام:٣١٧/١١ .

(٤) جامع بيان العلم وفضله : ليوسف بن عبدالبر النمري (ت ٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ : باب : الحض على استدامة الطلب والصبر على اللأواء والنصب:٩٥/١ .

(٥) مسند الشهاب : لمحمد بن سلامة بن جعفر أبو عبدالله القضاعي (ت ٤٥٤هـ)، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة، بيروت ط/٢ ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م:١٩٢/٢(١١٦٥).

الله ﷺ فقالت: كان خُلُقه القرآن يغضب لغضبه ويرضى لرضاه)[١]، فالعالم مطلوب منه الأخلاق الحسنة قبل غيره باعتباره ممثلاً لنبي الإسلام عليه الصلاة والسلام فيكون ليّن في الخطاب مع تجنب الغلطة وإيصال الخطاب التعليمي إلى القلوب بالتي هي أحسن والتحلّي بالحلم الذي هو خُلُق لإسلام وهذا كله من صفات رسول الله ﷺ الذي كان له أثره في علاقته بمن دعاهم حيث قال عنه تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾ (آل عمران:١٥٩)، بل هذه الأخلاق هي أشد على الشيطان ، قال الإمام محمد بن عجلان القريشي[٢](رحمه الله تعالى): (ما من شيء أشد على الشيطان من عالم حليم إن تكلّم تكلّم بعلم، وإن سكت سكت بحلم يقول الشيطان: أنظروا إليه كلامه أشد عليَّ من سكوته)[٣] .

وحسن الخُلُق من مكمّلات الإيمان عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً**))[٤]، فالعالم يجب أن يكون قد ذل نفسه بالرياضة لتعتدل أخلاقها وينفي عن باطنها الغش لتثمر الرضا بالقضاء[٥] .

---

(١) المعجم الأوسط : لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة ١٤١٥هـ:١/٣٠(٧٢).

(٢) محمد بن عجلان المدني عابدا ناسكا صادقا له حلقة بمسجد النبي ﷺ للفتوى توفي سنة ثمان وتسع واربعين ومائة . ينظر : مرآة الجنان وعبرة اليقظان : لأبي محمد عبدالله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م:١/٣٠٦.

(٣) جامع بيان العلم وفضله: باب: جامع في آداب العالم والمتعلم:١/١٢٦ .

(٤) الأحاديث المختارة : لأبي عبدالله محمد بن عبدالواحد المقدسي(ت ٦٤٣هـ)، تحقيق: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط/١ ، ١٤١٠هـ:٦/٣٣١(٢٣٥٣)، والمستدرك على الصحيحين: كتاب الإيمان: ١/٤٣(١).

(٥) ينظر: مختصر منهاج القاصدين:١٥٨ .

رابعاً: الزهد في الدنيا وإيثار الآخرة عليها: فلا تغره المناصب العالية ولا يطلب الرياسة الفانية ولا يركن إلى أصحاب السلطان فيفتيهم بما يوافق أهوائهم ليحظى بقربهم ورضاهم، لأن العالم هو الذي يدعوا الناس إلى ترك الدنيا والزهد فيها ويحذّرهم من فتن الدنيا وشهواتها ، فيجب أن يكون قد جرّد نفسه من الدنيا فلا يطلب الدنيا بعلمه فأقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخسّتها وكدورتها وانصرامها، وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم أنهما متضادتان وأنهما كالضرتين مهما أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى[١]، حتى يقوم هو بدوره بتحذير الناس منها فقد حذَر المولى ﷻ عباده من وقوع حب الدنيا في القلوب وجعله مهمة أولوا العلم بأن يبلغوا أن الثواب المنتظر عند الله أولى وأهم من ثواب الدنيا وعطائها ، قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ** ﴾ (القصص:٨٠) ، قال ابن مسعود ﷺ: (لو أن أهل العلم صانوا علمهم ووضعوه عند أهله لسادوا به أهل زمانهم ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا به من دنياهم فهانوا على أهلها)[٢]، وقال الحسن[٣](رحمه الله تعالى): (عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة)[٤] .

---

(١) ينظر: المهذّب من إحياء علوم الدين:٧٠/١ ، ومختصر منهاج القاصدين:١٩ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله: ذم الفاجر من العلماء وذم طلب العلم للمباهاة والدنيا:١٨٧/١.

(٣) الحسن بن علي: هو الحسن بن علي بن ابي طالب بن عبد المطلب، سبط رسول الله ﷺ وريحانته، أمير المؤمنين أبو محمد ولد في نصف شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة وتوفي بعدما مضى من إمارة معاوية عشر سنين قال الواقدي مات سنة (٤٩هـ) وقال المدائني مات سنة (٥٠هـ) وقيل (٥١هـ) وقيل انه مات مسموماً، ينظر: التاريخ الكبير: لمحمد بن إسماعيل البخاري(ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: السيد هاشم الندوي ، دار الفكر:٢٨٦/٢، والإصابة:٦٨/٢-٧٣ .

(٤) المهذب من إحياء علوم الدين:٧٠/١ .

خامساً: الشفقة والرحمة على الأمة: بأن يجريهم مجرى بنيه كما كان عليه الصلاة والسلام، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((**إنما أنا لكم مثل الوالد لولده**))[١]، بأن يقصد إنقاذهم من نار الآخرة وهو أهم من إنقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا ، لذلك كان حق العالم المعلم أعظم من حق الوالدين فالوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية، والعالم المعلم سبب الحياة الباقية فهو المفيد للحياة الأخرويّة الدائمة[٢] .

سادساً: أن يشهد له العلماء بالعلم ويجيزونه به ويكون مأذوناً بالإرشاد من شيخه في التربية: فلا بد أن يكون قد أُجيز من شيخه بالتربية والتعليم، فمن لم يشهد له الاختصاصيون بعلم يدّعيه لا يحق له أن يتصدّر فيه فالإجازة هي شهادة أهلية الإرشاد وحيازة صفاته فلا يجوز أن يدّعي الإرشاد غير مأذون له به من قبل مرشدين مأذونين مؤهلين يتّصل سندهم بالتسلسل إلى رسول الله ﷺ، قال بعض العارفين: العلم روح تُنفخ لا مسائل تُنسخ، فلينتبه العالمون لمن يُعطون[٣]، (عن خلف بن عمرو[٤] صديق كان لمالك ﷺ قال: سمعت مالك بن أنس ﷺ يقول: ما أجبت في الفتيا حتى سألت من هو أعلم مني هل يراني موضعاً لذلك، سألت ربيعة وسألت يحيى بن سعد

---

(١) صحيح ابن خزيمة: لمحمد بن إسحاق النيسابوري(ت ٣١١هـ)،تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي، بيروت،١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م: باب : النهي عن الاستطابة بدون ثلاثة أحجار: ٤٣/١ (٨٠).

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين:٥٥/١ .

(٣) ينظر: حقائق عن التصوّف:٧٠ – ٧١ .

(٤) خلف بن عمرو بن عبدالرحمن بن عيسى أبو محمد العكبري سمع الحديث، وكان له سوط معلق في منزله فإذا سئل عن ذلك قال ليرهب العيال منه وكان من ظرفاء بغداد ومحتشميهم، وتوفي سنة ست وتسعين ومائتين . ينظر : البداية والنهاية:١٠٨/١١ .

فأمراني بذلك فقلت له: يا أبا عبد الله فلو نهوك؟ قال: كنت أنتهي، لا ينبغي لرجل أن يرى نفسه أهلاً لشيء حتى يسأل من هو أعلم منه)[١] .

سابعاً: أن يصدع بالحق ولا يخشى في الله لومة لائم ولا يداهن أحداً: خاصة في باب العقائد، قال ابن عقيل[٢](رحمه الله تعالى): (وإرضاء الخلق بالمعتقدات وبال في الآخرة)[٣] .

ثامناً: أن يرث عن رسول الله ﷺ حاله في تزكية القلوب ولديه خبرة بطرق تزكية النفوس ووسائل تربيتها[٤]: فرسول الله ﷺ كان يزكي قلوب أصحابه وهي منحة منحها الله ﷻ لنبيّه ﷺ وأذن له بها بقوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ** ﴾ (آل عمران:١٦٤) وكذلك أتباعه عليه الصلاة والسلام من العلماء الربّانيين الوارثين المحمّديين فهم مأذونين بهذه المنحة النبوية من رسول الله ﷺ فهم ورثته من بعده بالعلم والتزكية، (فالوارث ينبغي أن يرث عن رسول الله ﷺ هذا فيذكر الناس بآيات الله في الكون والتاريخ ويربّي النفس البشريّة ويطهرها من عيوبها ويخلصها من أمراضها)[٥] .

---

(١) حلية الأولياء: لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت ط/٤، ١٤٠٥هـ:٦/٣١٦-٣١٧، والفقيه والمتفقه : لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي(ت ٤٦٢هـ)، تحقيق: أبو عبدالرحمن عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي، السعودية ط/٢ ، ١٤٢١هـ:٢/٣٢٦.

(٢) أبو الوفاء علي بن محمد بن عقيل الفقيه البغدادي قاضي القضاة كان مولده سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ومات في يوم الجمعة ثاني عشر جمادي الأولى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة . ينظر: طبقات الحنابلة : لمحمد بن أبي يعلى أبو الحسين(ت ٥٢١هـ) ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، دار المعرفة، بيروت:٢/٢٥٩.

(٣) الآداب الشرعيّة:١/١٦٢ .

(٤) ينظر: حقائق عن التصوّف:٦٩ .

(٥) تربيتنا الروحيّة: لسعيد حوّى، دار السلام . القاهرة ط/٩ ، ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م:١٨٥.

المطلب الثالث

علامات العالم الربّاني

أمّا علامات العالم الربّاني فقد ذكر الشيخ عبدالقادر عيسى (رحمه الله تعالى) أن لـه علامـات يمكـن ملاحظتهـا وهـي: الشـعور بنفحـة إيمانيّـة عنـد مجالسـته ونشـوة روحيّة، فلا يتكلّم إلاّ لله ولا ينطق إلاّ بخير ولا يتحدّث إلاّ بموعظة أو نصيحة، تستفيد من صحبته كما تستفيد من كلامه، تنتفع من قربه كما تنتفع من بعده، تستفيد من لحظه كما تستفيد من لفظه[١] .

ومن علاماته أيضاً: أن رؤيته تذكّر بالله ، لقوله عليه الصلاة والسلام: ((**يا أيها الناس ألا أنبئكم بخياركم ؟ قالوا : بلى ، قال : الذين إذا رُؤوا ذُكر الله**))[٢]، (فرؤية الرجل الصالح القدوة تُذكِّر بالله لما يُرى عليه من النور والإشراق والأنس والطمأنينة والمحبة والسكينة في سمته وهيئته وخشعته في نطقه وصمته وإطراقه وحركته وسكونه وكل شؤونه، فلا ينظره ناظر إلاّ كان نظره إليه مُذكّراً له بالله)[٣]، وقال الترمذي[٤] (رحمه الله تعالى) في نوادر الأصول: (هم الذين عليهم من الله سمات ظاهرة قد

---

(١) ينظر: حقائق عن التصوّف:٧١ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل: لأحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني (ت ٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة، مصر:٤٥٩/٦(٢٧٦٤٠)، والمعجم الكبير: لسليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، مكتبة الزهراء، الموصل ط/٢ ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م:١٦٧/٢٤(٤٢٣).

(٣) رسالة المسترشدين: لأبي عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي(ت ٢٤٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبدالفتاح أبو غدة ، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط/١١ ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م:١٠٢.

(٤) محمد بن عيسى التِّرمذيّ بن سوراء بن موسى السُلميّ، الحافظ أبو عيسى التّرمذيّ الضّرير ويقال له البوغيّ بضم الموحّدة وبغينٍ معجمة وبوغ قرية على ستّة فراسخ من ترمذ بفتح التّاء مصنَّف كتاب الجامع ولد سنة بضعٍ ومائتين أخذ علم الحديث عن أبي عبدالله البخاريّ . ينظر: تاريخ الإسلام:٤٥٩/٢٠.

علاهم بهاء القربة ونور الجلال وهيبة الكبرياء وأنس الوقار فإذا نظر الناظر إليه أي إلى الواحد منهم ذكر الله تعالى لما يرى عليه من آثار الملكوت)[١] .

وبيّن الشيخ عبدالعزيز الدباغ أن للعالم الربّاني خمس علامات ظاهرة وهي :

١-أن يكون سليم الصدر على الناس .

٢-أن يكون كريماً إذا طلبته أعطاك .

٣-وأن يحب من أساء إليه .

٤-وأن يغفل عن خطايا المريدين .

٥-وأن يكون خالياً من الأهواء ، وأن يكون ذا بصيرة ولا يكون مغتراً[٢] .

هذا هو العالم الربّاني المطلوب اليوم لإنقاذ البشريّة وإرجاع الناس إلى جادّة الطريق وأحسن السبيل ينظرون إلى المجتمع نظرة مستقبليّة سواء تعلّق الأمر بالمستقبل الدنيوي أم الأخروي .

(١) نوادر الأصول: للحكيم الترمذي، اسطنبول، ١٢٩٣هـ:١٤٠.

(٢) الإبريز من كلام سيدي الغوث عبدالعزيز : للشيخ أحمد بن المبارك، المطبعة العلمية، دمشق١١٥٥هـ - ١٧٤٢م:١١٩-١٢٠.

المبحث الثاني
العلماء الربانيين ودورهم في توحيد الأمة

المطلب الأول

أسباب اختلاف الأمة المذموم وآثاره

الفرع الأول: أسباب الاختلاف المذموم

إن الله ﷻ قد جمع الأمة على كلمة التوحيد وجعل رابطة الأمة بالأخوة، بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ (الحجرات:١٠) ، فهي عنوان اجتماع هذه الأمة وعدم تفرقها واختلافها، وكان نبينا محمد ﷺ يحرص على جمع كلمة المسلمين وكذلك أتباعه، لأن سر قوة الأمة باجتماعها بدليل قوله تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ (آل عمران:١٠٣)، لكن في الوقت الذي نعيش اليوم قد افترقت أمة الحبيب محمد ﷺ بسبب اختلافها الأمر الذي أدّى إلى أن تكون هذه الأمة ضعيفة ومستباحة للأعداء يتكالبون عليها من كل حدب وصوب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية[١](رحمه الله تعالى): (وهذا التفريق الذي حصل من الأمة علمائها ومشايخها وأمرائها وكبرائها هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها)[٢]، والاختلاف بين الأمة وارد ولا بأس به إن لم ينتهي إلى تفرقة فيكون اختلافاً مذموماً يبغي طائفة على أخرى قال ابن القيّم(رحمه الله تعالى):

---

(١) الإمام العالم الفقيه الحافظ، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن بن تيمية الحراني، ولد بحران يوم الإثنين عاشر وقيل ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة (٦٦١ هـ) إحدى وستين وستمائة وتوفي في ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة . ينظر : العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية : لمحمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٧٤٤هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكاتب العربي، بيروت:١٨/١، و البداية والنهاية:١٣٢/١٤-١٣٥ .

(٢) مجموع الفتاوى: لإبن تيمية:٤٢١/٣ ، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي ، مكتبة ابن تيمية ط/٢:٣/٤٢١.

(ووقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لابد منه لتفاوت إراداتهم وأفهامهم وقوى إدراكهم، ولكن المذموم بغي بعضهم على بعض وعداوته وإلاّ فإذا كان الاختلاف على وجه لا يؤدي إلى التباين والتحزب وكل من المختلفين قصده طاعة الله ورسوله ﷺ لم يضر ذلك الاختلاف فإنه أمر لابد منه في النشأة الإنسانية ، ولكن إذا كان الأصل واحداً والغاية المطلوبة واحدة والطريق المسلوكة واحدة لم يكد يقع اختلاف وإن وقع كان اختلافاً لا يضر كما تقدّم من اختلاف الصحابة ﷺ فإن الأصل الذي بنو عليه واحد وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والقصد واحد وهو طاعة الله ورسوله ﷺ والطريق واحد وهو النظر في أدلة القرآن والسنة وتقديمها على كل قول ورأي وقياس وذوق وسياسة)[١] .

والاختلاف في اللغة: هو نقيض الاتفاق، واختلف ضد اتفق ففي لسان العرب: (تخالف الأمران واختلفا لم يتفقا، وكل ما لم يتساو فقد تخالف واختلف)[٢] .

ويقال: (تخالف القوم واختلفوا إذا ذهب كل واحد منهم إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر)[٣]. ومنه قولهم: (اختلف الناس في كذا والناس خِلفة أي مختلفون ، لأن كل واحد منهم ينحي قول صاحبه ويقيم نفسه مقام الذي نحاه)[٤] .

أما في الاصطلاح : فلم نجد تعريفاً لعلمائنا في الاختلاف لكن ممكن أن نعرفه بأنه: اختلاف الناس في الأقوال والأفعال التي قد تؤدي إلى الخصومة والعداوة والتنازع أو تبني الحياة وتسهل مسيرتها .

---

(١) الصواعق المرسلة: لأبي عبدالله شمس الدين محمد الدمشقي(ت ٧٥١هـ)، تحقيق : د. علي بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة . الرياض ط/٣ ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م:٥١٩/٢.

(٢) لسان العرب:٩١/٩ .

(٣) المصباح المنير: لأحمد بن محمد بن علي المقري(ت ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت:١٧٩/١.

(٤) مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان ط/٢ ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م:٢١٣/٢.

والاختلاف بين الناس أمر طبيعي لاختلاف الطبائع والمشارب، قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۞ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** ﴾ (هود: ١١٨ – ١١٩)، وهذا الاختلاف نوعان (محمود ومذموم) وذلك باعتبار مدح أصحابه وذمهم، فقد ذكر ابن القيّم (رحمه الله تعالى) أن الاختلاف في كتاب الله نوعان:

أحدهما: أن يكون المختلفين كلهم مذمومين، لأنهم اختلفوا في التأويل وهم الذين نهانا الله ﷻ أن نتشبّه بهم بقوله تعالى: ﴿ **وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ (آل عمران:١٠٥)، فهم المسودة وجوههم يوم القيامة حيث قال الله فيهم: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ** ﴾ (البقرة:١٧٦)، فجعل المختلفين كلهم في شقاق بعيد[١]، وهذا من التفرق والاختلاف الذي ذمّه الله تعالى ونهى عنه[٢] ووصف أهله بالبغي الذي يوجب الفرقة والاختلاف وفساد ذات البين ويوقع التحزب والتباين، قال تعالى: ﴿ **وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾ (آل عمران: من الآية١٩)، فحكم سبحانه على هذا الاختلاف بأنه إنما حصل بسبب البغي[٣] .

ثانيهما: اختلاف ينقسم أهله إلى محمود ومذموم، قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** ﴾ (البقرة: من

(١) ينظر: الصواعق المرسلة:٢/٥١٤ .
(٢) ينظر: مجموع الفتاوى في التفسير:١٢/٢٣٦ .
(٣) ينظر: التفسير الكبير:٦/١١ .

الآية٢٥٣)، فالذي يصيب الحق محمود والذي يخطئ في الوصول إليه فلا يقع عليه إسم الذم فهو محمود في اجتهاده معفو عن خطأه، وإن أخطأ مع تفريطه وعدوانه فهو مذموم، والاختلاف المذموم كثيراً ما يكون من كل فرقة من أهله بعض الحق فلا يقر له خصمه به بل يجحده إيّاه بغياً ومنافسة فيحمله ذلك على تسليط التأويل الباطل على النصوص التي مع خصمه، وهذا من شأن جميع المختلفين بخلاف أهل الحق فإنهم يعلمون الحق من كل من جاء به فيأخذون حق جميع الطوائف ويردون باطلهم فهؤلاء الذين قال الله فيهم: ﴿ **فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ (البقرة: من الآية٢١٣)، فأخبر سبحانه أنه هدى عباده لما اختلف فيه المختلفون، فالذي يهديه الله سبحانه إلى الأخذ بالحق حيث كان ومع من كان ولو كان مع من يبغضه ويعاديه، ورد الباطل مع من كان ولو كان مع من يحبه ويواليه فهو ممن هدى لما اختلف فيه من الحق وهذا أعلم الناس وأهداهم سبيلاً وأقومهم قيلاً، واختلاف أهل هذا المسلك رحمة وهدى يقر بعضهم بعضاً عليه ويواليه ويناصره وهو داخل في باب التعاون والتناظر الذي لا يستغني عنه الناس في أمور دينهم ودنياهم، فالتجرد عن التعصب والحمية ومقابلة الآراء المختلفة والأقاويل المتباينة وعرضها على الحاكم الذي لا يجور وهو الكتاب والسنة وكان القصد في ذلك كله طاعة الله ورسوله ﷺ فبيان الصواب من تلك الأقوال وما هو أقرب إليه لا يخفى عليه وكذلك الخطأ وما هو أقرب إليه فإن الأقوال المختلفة لا تخرج عن الصواب وما هو أقرب إليه والخطأ وما هو أقرب إليه، ومراتب القرب والبعد متفاوتة وهذا النوع من الإختلاف لا يوجب معاداة ولا افتراقاً في الكلمة ولا تبديداً للشمل، فالصحابة الكرام ﷺ اختلفوا في مسائل كثيرة من مسائل الفروع، كالجد مع الأخوة، وعتق أم الولد بموت سيدها، ووقوع الطلاق الثلاث بكلمة واحدة وفي بعض مسائل الربا، وفي بعض نواقض

الوضوء وموجبات الغسل، وبعض مسائل الفرائض وغيرها، فلم ينصب بعضهم لبعض عداوة ولا قطع بينه وبينه عصمة بل كان كل منهم يجتهد في نصر قوله بأقصى ما يقدر عليه ثم يرجعون بعد المناظرة إلى الألفة والمحبة والمصافاة والموالاة من غير أن يضمر بعضهم لبعض ضغناً، بل يدل المستفتي عليه مع مخالفته له، ويشهد له بأنه خير منه وأعلم منه، فهذا الاختلاف أصحابه بين الأجرين والأجر وكل منهم مطيع لله بحسب نيته واجتهاده وتحريه الحق[١]، فالاختلاف المحمود يكون الحمد فيه منصبّاً على اتفاق المختلفين في مراعاتهم قصد الشارع وطلبهم لمراده وإتباعهم الدليل، لذلك مُدِحَ مثل هؤلاء المختلفين .

والذي نحن بصدده في هذا المطلب هو الاختلاف المذموم الذي نهانا عنه سبحانه بقوله: ﴿ **وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ (آل عمران:١٠٥)، لأنه يسبب الفرقة ويوقع في تعارض، وهذا ما دلت عليه نصوص الوحيين، ففي السنة جاء النهي عن الذرائع التي توجب الاختلاف والتفرق والعداوة والبغضاء كخطبة الرجل على خطبة أخيه، وسومه على سومه، وبيعه على بيعه، وسؤال المرأة طلاق ضرتها، والنهي عن قتال الأمراء والخروج على الأئمة وإن ظلموا وجاروا ما أقاموا الصلاة، سداً لذريعة الفساد العظيم والشر الكبير بقتالهم[٢].

---

(١) ينظر: الصواعق المرسلة:٢/٥١٥ – ٥١٨ ، بتصرف يسير .

(٢) ينظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي(ت ٧٥١هـ)، تحقيق : محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت ط/٢ ، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م:١/٣٦٩.

وهذا الاختلاف يعود إلى عدة أسباب ممكن أن نستخلصها من نصوص الكتاب والسنة وهي كما يأتي:

١- تـرك العمـل بالشـورى عنـد تعيـين الحـاكم وفـي حكمـه: والشورى أمرنا بها سبحانه بكتابه بقوله تعالى: ﴿ **وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ** ﴾ (الشورى: من الآية٣٨)، وهذا يقتضي أن يكون اختيار الحاكم بالشورى بين المؤمنين وبعد الاختيار حرية المبايعة وأن يوفي الحاكم بحق البيعة، وحقها هو العدل وألاّ يهلك الحرث والنسل، وأن يعمل ما فيه خير المسلمين، وأن يستشير حتماً أهل الرأي والخبرة على حسب النظام الذي يناسب الزمان، وكذلك المحكوم عليه أن يوفي بحق البيعة وحقها على المحكوم: هو الطاعة في غير معصية الله تعالى[١] .

٢- الاستهانة بالعلماء وذهاب العلم: فالعلماء هم دليل الناس إلى الحق، وهم أطبائهم الروحيين وبفقدهم يحصل الضلال ويستشري الفساد في الأرض ولا يبقى إلاّ الجهّال فيضلون ويُضلون، والاستهانة بالعلم والعلماء أمر خطير على الأمة وقد بيّن نبيّنا عليه الصلاة والسلام أن انتشار الجهل ورفع العلم وانقباض العلماء من أشراط الساعة، عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **((إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل ويُشرب الخمر ويظهر الزنا))**[٢]، وقال أيضاً: **((بين يدي الساعة أيام الهرج يزول فيها العلم ويظهر فيها الجهل))**[٣]، وعن أبي هريرة ﷺ قال:

---

(١) ينظر: الوحدة الإسلامية: للإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ط/٢، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م:٢٣٤.

(٢) صحيح البخاري : لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري(ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت ط/٣ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م: باب: رفع العلم وظهور الجهل:١/٤٣(٨٠)، وصحيح مسلم : لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: باب: العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن: ٤/٢٠٥٦(٢٦٧١).

(٣) صحيح البخاري: باب: ظهور الفتن:٦/٢٥٩٠(٦٦٥٦).

قال رسول الله ﷺ: **((إن الله لا يقبض العلم إنتزاعاً ينتزعه من النـاس، ولكن بقبض العلماء فإذا ذهب العلماء إتخذ النـاس رؤوساً جهّالاً فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلّوا عن سواء السبيل))**[١] .

وقد أنكر الإمام الفقيه الجليل ابن حزم الظاهري[٢](رحمه الله تعالى) على أهل زمانه استخفافهم بالعلماء وحذّر من حدوث هذا الأمر فقال: (صار الناس في زماننا يعيب الرجل من هو فوقه في العلم ليرى الناس أنه ليس به حاجة إليه، ولا يذاكر من هو مثله ويُزهى على من هو دونه فذهب العلم وهلك الناس)[٣] .

٣- ولايـة العلـم والـدين ممـن ليسـوا بأهلـه: فيتصدّر للفتوى من ليس بأهل لها فيفتي بغير علم فيضل الناس، أو يتولّى منصب هو أبعد ما يكون عنه فيسمّى بإسم العلم وبإسم الدين وهو ليس بعالم ولا رجل دين وقد حذّر من ذلك نبيّنا محمد ﷺ بقوله: **((لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن إبكوا عليه إذا وليّه غير أهله))**[٤]، وفي المقابل أمرنا عليه الصلاة والسلام بأن نحتاط في أخذ العلم وأن ننظر فيمن نأخذ عنه العلم، فقال ﷺ: **((إنَّ هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذوا دينكم))**[٥]، فإذا وسد الأمر إلى غير أهله وتصدّر للتدريس والفتيا كل من وجد من نفسه زيادة فهم وفضل

---

(١) المعجم الأوسط:٦/٢٧٧(٦٤٠٣) .

(٢) ابن حزم الظاهري: هو الإمام الحافظ العلامة أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ولد في سلخ رمضان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، فقرأ القرآن واشتغل بالعلوم النافعة الشرعية وبرز فيها وفاق أهل زمانه وصنف الكتب المشهورة، وكان من بيت وزارة ورياسة ووجاهة ومال وثروة كانت وفاته في قرية له في شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة وقد جاوز التسعين. ينظر: البداية والنهاية:١٢/٩١ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله: باب: معرفة أصول العلم وحقيقته وما الذي يقع عليه اسم الفقه والعلم مطلقاً:٢/٢٤

(٤) مسند أحمد بن حنبل:٥/٤٢٢ (٢٣٦٣٣)، والمستدرك على الصحيحين: كتاب: الفتن والملاحم:٤/٥٦٠ (٨٥٧١).

(٥) صحيح مسلم: باب: بيان أن الإسناد من الدين:١/١٤(٥)، وكنز العمال:١٠/١٠٨ (٢٩٣١٦) .

ذكاء وذهن مع أنه لم يأخذ العلم عن أهل التخصص وقع الإفتراق والإختلاف، وأهل العلم عدّوا ذلك من البلايا بأن يعتقد الإنسان نفسه أو يُعتقد فيه أنه من أهل العلم والإجتهاد في الدين ولم يبلغ تلك الدرجة فيعمل على ذلك ويعد رأيه رأياً وخلافه خلافاً فيأخذ ببعض جزئيات الشريعة ويهدم بها كلياتها[١]، قال الإمام مالك ﷺ: (أخبرني رجل أنه دخل على ربيعة بن أبي عبدالرحمن فوجده يبكي، فقال له: ما يبكيك؟ وارتاع لبكائه، فقال له: أمصيبة دخلت عليك؟ فقال: لا، ولكن أُستفتي من لا علم له وظهر في الإسلام أمر عظيم، وقال ربيعة ولبعض من يفتي ههنا: أحق بالسجن من السراق)[٢] .

٤- موالاة أهل الكتاب وإتباعهم: إنَّ عداوة أهل الكتاب لأهل الإيمان واضحة في القرآن السنة، فقد حذر الشارع سبحانه المسلمين من عداوتهم للمؤمنين وبيّن لنا أنَّ عداوتهم لن تنقطع حتى نتّبع ملّتهم ولن يرضوا عنا حتى يبعدونا عن ديننا، فقال ﷻ: **﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾** (البقرة:١٢٠)، وقال ﷻ: **﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾** (المائدة:٨٢)، كما نهانا سبحانه عن أن نتخذهم أولياء من دون المؤمنين، فقال: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي**

(١) ينظر: الإعتصام :لأبي إسحاق الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر (بلا ت):٢/١٧٢-١٧٣.
(٢) جامع بيان العلم وفضله: باب: في إنكار أهل العلم ما يجدونه من الأهواء والبدع:٢/٢٠١.

تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (الممتحنة:١)، وأخبر رسولنا الكريم محمد ﷺ أن من هذه الأمة سيكون أتباع لأهل الكتاب في كل ما نحلوه وفعلوه ، فعن أبي سعيد الخدري[١] رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((**لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه، قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن**))[٢] .

فالإسلام لا يعادي الأخذ من الآخر والإستفادة من تجارب الأمم وحضارتهم، ولكن أمر بالإحتياط فيما نأخذ ونتبع وحذّر من التقليد الأعمى الذي يسلب المرء كرامته وشخصيته وهويته ، حيث حذّر عليه الصلاة والسلام من التقليد الأعمى كيفما كان، فعن حذيفة[٣] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لا تكونوا إمّعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنّا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا**))[٤] .

---

(١) أبو سعيد الخدري: هو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري ، مدني من صغار الصحابة وخيارهم كان من المكثرين للرواية عن النبي ﷺ فقيهاً مجتهداً مفتياً ، ممن بايعوا رسول الله ﷺ لا تأخذهم في الله لومة لائم شهد معه الخندق وما بعدها. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة:٢/٣٤، والبداية والنهاية:٩/٤.

(٢) صحيح البخاري: باب: ما ذكر عن بني إسرائيل:٣/١٢٧٤(٣٢٦٩)، وصحيح مسلم: باب: إتباع سنن اليهود والنصارى:٤/٢٠٥٤ (٢٦٦٩).

(٣) حذيفة بن اليمان: من نجباء أصحاب محمد ﷺ وهو صاحب السر واسم اليمان حسل ويقال حسيل ابن جابر العبسي اليماني أبو عبدالله حليف الأنصار من أعيان المهاجرين، ولي حذيفة إمرة المدائن فبقي عليها إلى بعد مقتل عثمان، وتوفي بعد عثمان بأربعين ليلة مات حذيفة بالمدائن سنة ست وثلاثين وقد شاخ . ينظر: سير أعلام النبلاء : لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٩ ، ١٤١٣هـ:٢/٣٦١.

(٤) سنن الترمذي: لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي(ت ٢٧٩هـ)، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي، بيروت: باب: ما جاء في الإحسان والعفو: ٤/٣٦٤ (٢٠٠٧)، ومشكاة المصابيح:٣/١٤١٨(٥١٢٩) .

٥- بغي الناس بعضهم على بعض: إن البغي تترتب عليه نتائج خطيرة من الظلم واستحلال الدماء لذلك نهانا عنه سبحانه وحذرنا منه، فقال ﷻ: ﴿ **وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ (آل عمران:١٠٥)، وبيّن ﷻ أن هذا الإختلاف سببه البغي فقال ﷻ: ﴿ **وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ** ﴾ (آل عمران: من الآية١٩)، وقال ﷻ: ﴿ **فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ** ﴾ (الجاثية: من الآية١٧)، أي بغياً من بعضهم على بعض طلباً للرياسة والظلم والإشتغال بالدنيا[١]، وقد توعد الله ﷻ الذين يقع بينهم هذا التفرق ويصبحون شيعاً بأنه سيذيق بعضهم بأس بعضهم من أنواع العقوبات القدرية التي ينزلها الله سبحانه بالناس إذا انحرفوا عن طريقه ولم يعتبروا بآياته وقرنها سبحانه بالرجم ينزل من فوقهم كالذي نزل بقوم لوط ، أو بالخسف يقع من تحت أرجلهم كالذي وقع لقارون[٢]، قال تعالى: ﴿ **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ** ﴾ (الأنعام:٦٥)، وكذلك حذّرنا رسول الله ﷺ من الوقوع في ذلك فقال: ((**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**))[٣]، لذا شرّع ﷻ ما يمنع البغي والظلم وهو الإصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وندب إليه وأخبر أن الصلح خير بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ (الحجرات:١٠)[٤] ،

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي:١٢/١٦ .

(٢) ينظر: التفسير الكبير:١٩/١٣ .

(٣) صحيح البخاري: باب: الإنصات للعلماء:٥٦/١ (١٢١)، وصحيح مسلم: باب: بيان معنى قول النبي ﷺ: ((لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)):٨١/١ (٦٥) .

(٤) ينظر: الكشاف:٣٦٨/٤، وإغاثة اللهفان:٢٦/٢ .

وقدّم ﷻ الإصلاح على القتال وهذا يقتضي أن يبدأ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالأرفق مترقّياً إلى الأغلظ فالأغلظ بقوله : ﴿ **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ (الحجرات:٩)[١]، فأمر بالعدل الذي هو ضد الظلم والبغي، والإصلاح بين الناس نوع من الصدقة التي يرضى الله عن صاحبها ، فعن أبي أيوب الأنصاري[٢]ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **((يا أبا أيوب ألا أدلّك على صدقة يرضى الله موضعها ؟ قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: تسعى في صلح ذات بين الناس إذا تفاسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا))**[٣] .

٦- **إتباع الهوى والشبهات:** الذي يتضمن إتباع ما تهواه النفوس والطبائع وترك ما يأمر به الشرع من العدل والإحسان، فإتباع الهوى من أكبر أسباب رد الحق والتكبر عليه والإقامة على الباطل ، قال الإمام علي ﷺ: (إن أخوف ما أخاف عليكم إثنتين: طول الأمل، وإتباع الهوى، فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما إتباع الهوى فيصد عن الحق)[٤]، وبيّن سبحانه أن إتباع الهوى يضل عن سبيله

(١) ينظر: التفسير الكبير:١٤٧/٨ .

(٢) أبو أيوب الأنصاري اسمه خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عوف، شهد بدراً وأحداً والخندق وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، وتوفي بالقسطنطينية من أرض الروم سنة خمسين وقيل سنة إحدى وخمسين في خلافة معاوية تحت راية يزيد . ينظر: بغية الطلب في تاريخ حلب: لكمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر:٣٠٣٩/٧.

(٣) مداراة الناس: لأبي بكر عبدالله بن محمد أبن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، تحقيق : محمد خير رمضان يوسف ، دار ابن حزم، بيروت ، لبنان، ط/١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م: باب: الإصلاح بين الناس: ١١٧/١(١٤٧).

(٤) الزهد لابن حنبل: لأحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني(ت ٢٨٧هـ)، تحقيق : عبد العلي عبد الحميد حامد ، دار الريان للتراث، القاهرة، ط/٢ ، ١٤٠٨هـ:١٣٠/١، وإحياء علوم الدين:٤٥٢/٤ .

فقال ﷻ: ﴿ **يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ** ﴾ (صّ:٢٦)، وهذه الفتنة مآلها إلى الكفر والنفاق وهي فتنة المنافقين وأهل البدع على حسب مراتب بدعهم فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل والهدى بالضلال[١]، وهؤلاء توّعدهم الله يوم القيامة أشد وعيد فقال ﷻ: ﴿ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ** ﴾ (آل عمران:١٠٦)، (قال ابن وهب سمعت مالكاً يقول: ما آية في كتاب الله أشد على أهل الاختلاف من أهل الأهواء من هذه الآية، قال مالك: فأي كلام أبين من هذا فرأيته يتأوله لأهل الأهواء)[٢]، فالأهواء والشهوات تدفع إلى ظلم الغير في سبيل تحصيل الشهوة فيقع الخلاف وينشأ الافتراق، أما الشبهات والتأولات الفاسدة فتبعد الناس عن الحق إلى أقوال وآراء متباينة ومن ذلك الافتراق الذي وقع في الأمة بانحراف ثلاث وسبعين فرقة عن الجادة، عن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((**تفترق أمتي سبعين فرقة أعظمها فتنةً على أمتي قوم يقيسون الأمور برأيهم فيحلون الحرام ويحرمون الحلال**))[٣]، فالفرقة الناجية هي التي على الكتاب والسنة والمتمسكة بالحق الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**تفترق أمتي على ثلاث**

(١) ينظر: إغاثة اللهفان:١٦٦/٢، وروضة المحبين ونزهة المشتاقين : لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ت ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م:٤٠٢/١.

(٢) الإعتصام:٥٦/١ .

(٣) المعجم الكبير:٥٠/١٨ (٩٠)، والمستدرك على الصحيحين:٦٣١/٣ (٦٣٢٥) .

وسبعين فرقة كلهن في النار إلاّ واحدة، قالوا: وما تلك الفرقة؟ قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي)) [١] .

٧- **الجهل بالدين والتفاوت في العلم والمعرفة:** إن الجهل بالدين هو أصل الاختلاف المذموم والتفرق في الأمة، ففي العلم النجاة وفي الجهل الهلكة، قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾ (الزمر: من الآية٩)، فالعلم هو طريق المعرفة بالله تعالى ودينه والمتمسك به لن يضل السبيل ولن يقع بينه وبين أمثاله اختلاف ، قال الإمام الشاطبي (رحمه الله تعالى): (الاختلاف في القواعد الكلية لا يقع بين المتبحرين في علم الشريعة الخائضين في لجتها العظمى العاملين بمواردها ومصادرها، والدليل على ذلك اتفاق العصر الأول وعامة العصر الثاني)[٢] . وروي أن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ حدّث نفسه يوماً: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة وكتابها واحد؟ فأرسل إلى ابن عباس (رضي الله عنهما) وسأله، فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين إنما نزل القرآن علينا فقرأناه وعلمنا فيما نزل وأنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون فيما نزل فيكون لكل قوم فيه رأي فإذا كان ذلك اختلفوا[٣]، ولهذا قال الحسن البصري [٤](رحمه الله تعالى): (أهلكتم العجمة يتأولون على غير تأويله)[٥] .

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: لعلي بن أبي بكر الهيثمي(ت ٨٠٧هـ)، دار الريان للتراث، دار الكتاب، القاهرة، بيروت، ١٤٠٧هـ: باب: في البدع والأهواء:١/١٨٩.

(٢) الإعتصام:٢/١٧٢ .

(٣) ينظر: المصدر السابق:٢/١٨٣ .

(٤) الحسن البصري: هو الحسن بن يسار البصري أبو سعيد الإمام العالم الزاهد العارف بالله تعالى ، علم من الأعلام كان من سادات التابعين وكبرائهم وجمع بين العلم والزهد والفقه والورع والعبادة ، توفي سنة (١١٠هـ) . ينظر: وفيات الأعيان: لإبن خلكان(ت ٦٨١هـ)، القاهرة، ١٩٤٨م:١/٢٥٥، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء :لأبي نعيم الأصبهاني(ت ٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/٢، ١٤٠٥هـ:٢/١٣٠.

(٥) الإعتصام:٢/٢٩٩ .

٨- **التعصب:** فأهل التعصب كارهون للحق، قال تعالى: ﴿ **وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ** ﴾ (المؤمنون: من الآية٧٠)، لما جبلوا عليه من التعصب والإنحراف عن الصواب والبعد عن الحق فلذلك كرهوا الحق الواضح الظاهر[١]، (والتعصب لأمر من الأمور بلا هدى من الله فهو من عمل الجاهلية، قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ (القصص: من الآية٥٠))[٢]، والطائفة التي تتحزّب أي تصير حزباً إن كانت مجتمعة على ما أمر الله به ورسوله ﷺ من غير أن تزيد في ذلك أو تنقص فهم المؤمنون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، أما إذا زادوا في ذلك ونقصوا كأن يتعصبون لمن دخل في حزبهم سواء بالحق أو الباطل وأعرضوا عمن لم يدخل في حزبهم سواء كان على الحق أو الباطل فهذا من التفرق الذي ذمه الله تعالى ورسوله ﷺ فإن الله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف ونهيا عن التفرقة والاختلاف[٣] .

والتعصب أدى ببلاد كثيرة إلى حروب طاحنة فيما بينهم،(قال ياقوت الحموي وهو بصدد ذكر مدينة أصبهان: وقد نشأ الخراب في هذا الوقت وقبله في نواحيها لكثرة الفتن والتعصب بين الشافعية والحنفية والحروب المتصلة بين الحزبين، فكلما ظهرت طائفة نهبت محلة الأخرى وأحرقتها وخربتها لا يأخذهم في ذلك إلاَّ ولا ذمة ومع ذلك فقد قل أن تدوم بها دولة وسلطان أو يقيم بها فيصلح فاسدها، وكذلك الأمر في

(١) ينظر: فتح القدير: لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، دار الفكر، بيروت:٤٩٢/٣.
(٢) مجموع الفتاوى:٢٨/١١ .
(٣) ينظر: المصدر نفسه:٩٢/١١ .

رساتيقها وقراها التي كل واحدة منها كالمدينة وهذا غيض من فيض مما وقع بين أتباع المذاهب الذي يندى له جبين التعصب).[١]

(وكذلك من جملة أسباب تسليط الفرنج على بعض بلاد المغرب والتتر على بلاد المشرق كثرة التعصب والتفرق بينهم في المذاهب وغيرها)[٢] .

٩- الجدل والمراء: الجدل: (هو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات والغرض منه إلزام الخصم وإقحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة)[٣]، والمراء: (طعن في كلام الغير لإظهار خلل عنه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير)[٤] .

قال المحاسبي[٥](رحمه الله تعالى): (وأحذر يا أخي المراء في القرآن والجدال في الدين)[٦]، والمراء في القرآن الشك في كونه كلام الله تعالى، أو المراد الخوض فيه بأنه

---

(١) إرشاد النقاد: لمحمد بن إسماعيل الصنعاني (ت ١١٨٢هـ)، تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد ، الدار السلفية، الكويت ط/١ ، ١٤٠٥هـ:١/٢٢.

(٢) إيقاظ همم أولي الأبصار: لصالح بن محمد بن نوح العمري (ت ١٢١٨هـ)، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٨هـ:١/٥٤.

(٣) التعريفات: لعلي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، تحقيق: إبراهيم الأنباري ، دار الكتاب العربي، بيروت ط/١ ، ١٤٠٥هـ:١/١٠١، والتوقيف على مهمات التعاريف: لمحمد بن عبدالرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر، بيروت ، دمشق ط/١ ، ١٤١٠هـ:١/٢٣٦.

(٤) التعريفات:١/٢٦٦ ، والتوقيف على مهمات التعاريف:١/٦٤٧ .

(٥) المحاسبي: هو أبو عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي من علماء التصوف له مصنفات مشهورة منها، الرعاية لحقوق الله توفي في بغداد سنة (٢٤٣هـ) ينظر: طبقات الصوفية: لأبي عبدالرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد الأزدي:٥٦ ، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ط/١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م:٥٦.

(٦) رسالة المسترشدين:٢٩ - ٣٠ .

محدث أو قديم أو المجادلة في الآيات المتشابهة أو التدارؤ في القرآن وهو أن يروم تكذيب القرآن بالقرآن، وأما الجدل فهو المخاصمة والمقابلة لينصر رأي نفسه[١] قال الإمام ابن الجوزي (رحمه الله تعالى): (واعلم أن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، وإذا أراد الله بعبد شراً ابتلاه بالجدل، وإذا أراد الله بعبد خيراً وفّقه للعمل، إن أخذ منك لسانك وردَّ إليك قلبك فقد لطف بك، وإن أخذ منك قلبك وردَّ إليك لسانك فقد عظمت مصيبتك)[٢] ، فالجدل يولد النفرة والكراهة ويُسبب الإيحاش بين المتحابّين فضلاً عن غيرهما، كما أنه سبباً في تحول الناس من الهدى إلى الضلال، عن أبي أمامه [٣] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلاّ أوتوا الجدل ، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾** (الزخرف: من الآية٥٨)))[٤][٥]، كما نهى عليه الصلاة والسلام عن المراء بقوله: ((**لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعد فتخلفه**))[٦] .

(١) ينظر: المصدر نفسه: هامش ص / ١٢٩ – ١٣٠ .

(٢) المتشابه في القرآن : لإبن الجوزي، دار الأنصار، القاهرة ط/١ ، ١٣٩٩هـ:١١.

(٣) أبو أمامة: صدي – بالتصغير – ابن عجلان أبو امامة الباهلي صحابي مشهور، سكن الشام، ومات بها سنة (٨٦هـ)، ينظر: تقريب التهذيب: لإبن حجر أبو الفضل العسقلاني(ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عوامة ، دار الرشيد، سوريا ط/١ ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م:٣٦٦/١.

(٤) سنن الترمذي: باب: ومن سورة الزخرف: ٣٧٨/٥ (٣٢٥٣)، والمعجم الكبير:٧٧/٨ (٨٠٦٧) .

(٥) ينظر: رسالة المسترشدين: هامش ص:١٣٠ – ١٣١ .

(٦) سنن الترمذي: باب: ما جاء في المراء:٣٥٩/٤ (١٩٩٥)، وكنز العمال: المراء والجدل:٢٥٥/٣ (٨٢٩٧).

الفرع الثاني: آثار الاختلاف المذموم

إن أسباب الاختلاف المذموم التي ذكرناها سالفاً ينتج عنها آثاراً سلبيّة تعود على الأمة والتي يمكن أن نلخصها بما يأتي:

١- **الهلاك:** قال نبينا الكريم ﷺ: **((ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه))**[١]، قال ابن القيم (رحمه الله تعالى): (أخبر النبي ﷺ أن هلاك الأمم من قبلنا إنما كان باختلافهم على أنبيائهم، وقال أبو الدرداء[٢] وأنس، وواثلة بن الأسقع[٣]: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في شيء من الدين فغضب غضباً شديداً لم يغضب مثله، قال: ثم انتهرنا، قال: يا أمة محمد لا تهيجوا على أنفسكم وهج النار، ثم قال: أبهذا أُمرتم أوليس عن هذا نهيتم إنما هلك من كان قبلكم بهذا)[٤]، وقال المباركفوري في تحفة الأحوذي: (واختلافهم عطف على الكثرة لا لا على السؤال، لأن نفس الاختلاف موجب للهلاك بغير الكثرة)[٥] .

---

(١) صحيح مسلم: باب: فرض الحج في العمر:٢/٩٧٥ (١٣٣٧) .

(٢) أبو الدرداء واسمه عويمر بن يزيد وقيل عبدالله بن قيس بن ثعلبة بن أمية الخزرج الأنصاري الصحابي المشهور، أسلم يوم بدر وشهد أحد وكان قبل البعثة تاجراً آخى النبي ﷺ بينه وبين عوف بن مالك ومناقبه كثيرة جداً، مات سنة إحدى وثلاثين من الهجرة . ينظر : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري الأتابكي(ت ٨٧٤هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر:١/٨٨، والتحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة: للإمام شمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ط/١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م:٢/٣٦٣.

(٣) أبو الأسقع واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر الليثي، وقيل كنيته أبو قرصافة صاحب رسول الله ﷺ، سكن الشام، مات سنة ثلاث وثمانين وهو ابن مئة سنة وخمس سنين وقيل مات سنة خمس وثمانين . ينظر : تاريخ خليفة بن خياط:١/٢٩١، و اللباب في تهذيب الأنساب: لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد الجزري، دار صادر، بيروت ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م:٥/١٥١.

(٤) إعلام الموقعين:١/٢٦٠ .

(٥) تحفة الأحوذي: لمحمد عبدالرحمن المباركفوري(ت ١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت:٧/٣٧٢.

٢- **الفشـل وذهـاب القـوة:** قـال تعـالى: ﴿ **وَأَطِيعُـوا اللَّـهَ وَرَسُـولَهُ وَلا تَنَـازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ (لأنفال:٤٦)، نهى ﷻ عن التنـازع مبينـاً أنـه سبب الفشل وذهاب القوة، ونهـى عن الفرقة أيضـاً فـي مواضـع أخـر كقولـه ﷻ: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّـهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا** ﴾ (آل عمران: من الآية١٠٣)، وقوله ﷻ: ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّـهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ (لأنفال:٤٦)، أي قوتكم والعرب تقول: الريح لفلان إذا كان غالباً[١]، والتنازع ربما يفضي إلى التقاتل واستغراق العمر في إزالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه[٢]، كما أكد عليه الصلاة والسلام على ملازمة الجماعة وأن يد الله مع الجماعة والفرقة من الشيطان، قال ﷺ: ((**سيكون بعدي هَنـاتٌ وهَنـات فمن رأيتموه فارق الجماعة أو يريد أن يُفرّق بين أمـة محمد وأمرُهُم جميـع فـاقتلوه، كائنـاً من كان فإن يد الله مع الجماعة، وإن الشيطان مع من فارق الجماعة يرتكض**))[٣].

٣- **براءة رسول الله ﷺ من المختلفين المفترقين:** فقد بيّن ﷻ براءة رسوله ﷺ من الذين فرّقوا دينهم بقوله: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَـهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَـا أَمْـرُهُمْ إِلَـى اللَّـهِ ثُـمَّ يُنَبِّـئُهُمْ بِمَـا كَـانُوا يَفْعَلُـونَ** ﴾ (الأنعام:١٥٩)، قال القرطبـي (رحمه الله تعالى): (**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَـهُمْ**، هم أهل البدع والشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة (**شِيَعا**) فرقاً وأحزاباً وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض، فهم شيع (**لَسْـتَ مِـنْهُمْ فِـي شَـيْءٍ**)، فأوجب براءتـه منهم)[٤]، وهؤلاء هم أهل التقليد

---

(١) ينظر: أضواء البيان: لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي(ت ١٣٩٣هـ)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر ، بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م:١٠٢/٢.

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين:١٩٣/٣ .

(٣) صحيح ابن حبان: ذكر إثبات معونة الله جل وعلا الجماعة وإعانة الشيطان من فارقها:٤٣٨/١٠ (٤٥٧٧).

(٤) تفسير القرطبي:١٥٠/٧ .

فمقاصدهم شتى وطرقهم مختلفة فليسوا مع الأئمة في القصد ولا في الطريق بخلاف أهل العلم فهم شيعة واحدة متفقة على طلب الحق وإيثاره عند ظهوره وتقديمه على كل ما سواه، فهم طائفة واحدة قد اتفقت مقاصدهم وطريقهم فالطريق واحدة والقصد واحد(١).

٤- تسوّد وجوه المفترقين يوم القيامة: قال تعالى: ﴿ **وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ** ﴾ (آل عمران:١٠٥-١٠٦) ، قال ابن عباس (رضي الله عنهما): (تبيّض وجوه أهل السنة وتسوّد وجوه أهل البدعة)(٢)، فأهل الأئتلاف والاعتصام بحبل الله وجوههم وجوه أهل السعادة يوم القيامة بيض الوجوه، أما أهل الشقاوة وهم المسوّدة وجوههم فهم أهل الفرقة والاختلاف فوجوههم مسوّدة بما في قلوبهم من الخزي والهوان والذلة والفضيحة(٣) .

المطلب الثاني

ملامح توحيد الأمة في الواقع المعاصر ودور العلماء فيه

الفرع الأول: ملامح توحيد الأمة

لا بد من توحيد الأمة لتعاد لها قوتها وهيبتها فواقع الحال الذي نعيش يحاكينا وهو مشاهد بأن الأمة قد افترقت واختلفت، لأنها أهملت جوانب كثيرة فيها وحدة الأمة وتكاتفها فلا بد من وضع منهج لهذه لأمة تعود به إلى وحدتها وقوتها والمسؤولية تعود

(١) ينظر: إيقاظ همم أولي الأبصار:١/١٤٤ .

(٢) الدر المنثور: لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت ١٩٩٣م:٢/٢٩١، والسنن والمبتدعات : لمحمد عبدالسلام خضر الشقيري، تحقيق: محمد خليل هراس ، دار الفكر:١/١٨.

(٣) ينظر: تفسير السعدي:١/١٤٢ .

أولاً على علماء هذه الأمة في الدعوة إلى هذا المنهج، فمن أهم ملامح منهج توحيد الأمة ما يأتي:

١- التمسك بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ: إذ بهما الاهتداء للحق وعدم الضلال ، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض**))[١] .

٢- الأخوّة والوحدة بين المسلمين وقوة الشعور بأن المسلمين جسد واحد: فمن أجل توحيد الأمة لا بد أن تكون دعوة الدعاة إلى إتحاد المسلمين فيما ينهم وجمع قلوبهم والتآلف بينهم ولنا في كتاب اله تعالى وسنة نبيه ﷺ خير قدوة فلا يوجد من دعا إلى الأخوة التي فيها الإتحاد والتضامن والمحبة كالإسلام في قرآنه وسنته فمن القرآن، قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ (الحجرات:١٠)، أما السنة فقد أخبر عليه الصلاة والسلام أن الأخوة تتحقق بترك الظن والحسد والحقد والبغضاء وقد بيّنها عليه الصلاة والسلام بقوله: ((**إيّاكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك**))[٢]، فهذا الحديث اشتمل على جملة من الآداب العظيمة التي فيها ما فيها من التخلي عن كثير من الرذائل، والتحلي بفضيلة من أجلِّ الفضائل وهي دعوته ﷺ في نهاية حديثه بأن نكون إخواناً أي أن نكتسب ما نصير به إخواناً، (مما سبق ذكره وغير ذلك من الأمور المقتضية لذلك إثباتاً ونفياً وقوله عباد الله، أي يا عباد الله بحذف حرف النداء وفيه إشارة إلى أنكم عبيد الله فحقكم أن تتواخوا بذلك، قال القرطبي: المعنى كونوا كإخوان النسب في

(١) المستدرك على الصحيحين: كتاب العلم:١/١٧٢ (٣١٩) .
(٢) صحيح البخاري: باب: لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع:٥/١٩٧٦ (٤٨٤٩) .

الشفقة والرحمة والمحبة والمواساة والمعاونة والنصيحة، ولعل قوله في الرواية الزائدة كما أمركم الله أي بهذه الأوامر المقدم ذكرها فإنها جامعة لمعاني الإخوة ونسبتها إلى الله، لأن الرسول ﷺ مبلغ عن الله تعالى)[١] .

٣- **الوسطية في المنهج:** قال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً** ﴾ (البقرة: من الآية١٤٣)، والوسط: هو العدل فالمؤمن بعد أن عرف الله ﷻ بالدليل صار مؤمناً مهتدياً، أما بعد حصول هذه الحالة فلا بد من معرفة العدل الذي هو الخط المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط في الأعمال الشهوانيّة وفي الأعمال الغضبيّة وفي كل الأخلاق والأعمال[٢]، (فالعلماء إذا أقاموا كتاب الله، وفقهوا ما فيه من البينات التي هي حجج الله، وما فيه من الهدى الذي هو العلم النافع والعمل الصالح، وأقاموا حكمة الله التي بعث بها رسوله ﷺ وهي سنته لوجدوا فيها من أنواع العلوم النافعة ما يحيط بعلم عامة الناس ولميّزوا حينئذ بين المحق والمبطل من جميع الخلق بوصف الشهادة التي جعلها الله لهذه الأمة)[٣]، فلا بد من دراسة علمية تتسم بالمنهجية الوسطية في التربية والإعتقاد التي تربّى عليها خيرة هذه الأمة الصحابة الكرام فأصبحوا النموذج والقدوة لمن سلك طريق الحق ، حيث قال عنهم ﷻ: ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ (آل عمران: من الآية١١٠)، فكانوا خير أمة بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وانشغالهم بالله وترك أهوائهم .

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري:٤٨٣/١٠، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري: لبدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت:١٣٧/٢٢.

(٢) ينظر: التفسير الكبير:٢٠٦/١ .

(٣) إقتضاء الصراط: لإبن تيمية، تحقيق: محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط/٢ ، ١٣٦٩هـ:٢٨١/١.

الفرع الثاني: دور العلماء في توحيد الأمة

إن الأمة اليوم تحتاج إلى من ينقذها ويرجعها إلى جادة الطريق وأحسن السبيل، فلا يخفى على كل مسلم بصير ما تعيشه أمة الإسلام من شتات وفرقة واختلافات والتي أدت إلى الشقاق والعداوة فاتُبِعَت الأهواء، وتشعَّبت البدع، وتَفرَّقت السُبل، فلا سبيل للخروج من هذا كله إلاّ بالاعتصام بحبل الله المتين، وإتباع العلماء الربّانيّين العاملين بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فلا بد أن يقوم الدعاة من العلماء بدورهم بتوحيد صفوف المسلمين ونزع الحقد والحسد والبغضاء من قلوبهم، فإنقاذ الأمة هو مسؤوليتهم وبهم تخرج الأمة من محنتها وقد صرّح ﷺ بدور العلماء في ذلك بقوله ﷻ: **﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾** (التوبة:١٢٢)، وبالرجوع إليهم أمرنا ﷻ فقال: **﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾** (النساء:٨٣)، فهم سفينة النجاة لهذه الأمة وهم الفرقة الناجية والمُنجية، قال ﷺ: **((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون))**[1]، وهم أهل العلم الذين تفقّهوا في أمور دينهم، وسلكوا طريق الدعوة والإرشاد، فالإرشاد يقتضي الفقه في الدين ثم إنذاراً فمن لم يكن فقيهاً لا يصلح لمقام الإنذار، ومن لم يقم بمهمة الإنذار لا يؤدي حق الله في فقهه، وهذا مظهر من مظاهر الوراثة الكاملة لرسل الله، قال تعالى: **﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾** (النساء:١٦٥) ، فالتفقه

(١) صحيح البخاري: باب: قول النبي ﷺ: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، وهم أهل العلم)):٦/٢٦٦٧ (٦٨٨١) .

في الدين يقتضي فقهاً في الكتاب والسنة، وفي الإسلام والإيمان والإحسان والتقوى والشكر، ومن لم يجمع الفقه في هذا كله وتفصيلاته وما يلزم له لا يكون فقيهاً في دين الله، ومن لم يحسن التربية على هذا كله لا يصلح لمقام الإرشاد، ومن لا يحسن تعليم هذا كله وغيره لا يصلح لمقام الإرشاد الكامل(١)، من كل ما تقدم نستطيع أن نوجز الدور المنتظر من العلماء تجاه الأمة بالنقاط التالية :

١- **الحرص على الأمة:** بالنصح للناس ودعوتهم للتمسك بمنهج الوحدة وتحقيق ملامحه التي بيّناها في الفرع الأول من هذا المطلب .

٢- **كشف مخططات اليهود وأعداء الإسلام في تشويه معالم الدين الإسلامي:** وسمومهم التي تحاول غزو أفكار المسلمين وشق صفوفهم وتفرقتهم، وتوجيه الناس في رد هذه المؤامرات والعودة إلى تعاليم الإسلام، فديدن الكافرين هو إخراج المسلمين من دائرة الإسلام إلى الكفر، قال تعالى: ﴿ **وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً** ﴾ (النساء:٨٩)، فالإسلام تعرض منذ انبثاق فجره إلى خصوم أشداء وأعداء ألدّاء أرادوا تقويض بنيانه وتحطيم أركانه عن طريق تشويه معالمه ودس الأباطيل والخرافات في علومه كما نرى ذلك في التفسير والحديث والتاريخ والمنهج الروحي الإسلامي (التصوّف) وغيرها، فكل هذه الجوانب لم تخلوا من الإسرائيليات التي ليست إلاّ أساطير كاذبة وعقائد غير إسلامية وأحاديث مكذوبة عن رسول الله ﷺ لتحطيم العقيدة ودس الأفكار الهدّامة، لكن الله ﷻ وله الحمد قيّض لهذا الدين رجالاً سهروا على تنقية الكتب الإسلامية وبيّنوا المدسوس

(١) ينظر: تربيتنا الروحية:١٨٣ – ١٨٤ .

فيها من الصحيح [١] ، فهذا هو الدور المنتظر من علمائنا تجاه الأمة، وتبقى مسؤولية الحفاظ على الدين في أعناقهم يواجهون سهام الأعداء ويردوها عن الإسلام ويزيدون ثقة الناس بدينهم ويُرسّخوا إيمانهم .

٣- صيانة العلم الشرعي من تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين: قال ﷺ: **((يرث هذا العلم من كل خلق عدوله ينفون عنه تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين وتحريف الغالين))**[٢] .

٤- الوفاء بالعهد: العهد الذي عاهدوا به مولاهم في خدمة الدين والأمة في أمرها بالمعروف، ونهيها عن المنكر، وهذه صفة القلّة من المؤمنين الذين وصفهم الله بأنهم رجال صادقين بقوله: ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** ﴾ (الأحزاب:٢٣)، وبالوفاء به أمر سبحانه بقوله: ﴿ **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً** ﴾ (الإسراء: من الآية٣٤)، (قال الزجاج: كل ما أمر به أو نهى عنه فهو من العهد)[٣]، فمهمة العلماء هي كمهمة الأنبياء فهم الورثة لهم بقوله ﷺ: **((إن العلماء ورثة الأنبياء))**[٤]، والأنبياء بعثهم الله ﷻ لرعاية الشريعة الإسلامية وسياسة الأمة في جميع مناشط حياتها الدينية والدنيوية ولورثتهم من العلماء مثل ذلك، قال ﷺ: **((كانت بنو إسرائيل تسوسُهُم الأنبياء، كلما هلك نبي خَلَفَه نبيٌّ وإنه لا نبيَّ بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون، قالوا: فما تأمرنا؟**

---

(١) ينظر: حقائق عن التصوّف:٣٩٨ .

(٢) سنن البيهقي الكبرى: لأحمد بن الحسين، أبو بكر البيهقي(ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م:٢٠٩/١٠(٢٠٧٠٠) .

(٣) الكبائر: لمحمد بن عثمان الذهبي(ت ٧٤٨هـ)، دار الندوة الجديدة، بيروت:١٦٨/١ .

(٤) الحديث مر تخريجه ص:٧.

قال: فُوا بيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم فإن الله سائلهم كما استرعاهم))[١]، قال الإمام النووي[٢](رحمه الله تعالى): (يتولّون أمرهم كما تفعل الأمراء والولاة بالرعيّة ، والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه)[٣]، (وذلك لأنهم كانوا إذا أظهروا الفساد بعث الله نبيّاً يزيل الفساد عنهم ويقيم لهم أمرهم، ويزيل ما غيّروا من حكم التوراة)[٤]، لذا يجب على العلماء العودة بسياسة الأمة إلى ما كان عليه النبي ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده، لأنه بخلاف ذلك سيتّخذ الناس أئمّة ضلال يسوسونهم بغير الشرع، فيضلوا عن الهدى لقوله ﷺ: **((إن الله لا يقبض العلم إنتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن بقبض العلماء، فإذا ذهب العلماء إتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلّوا عن سواء السبيل))**[٥] .

---

(١) صحيح البخاري: باب: ما ذُكر عن بني إسرائيل:٣/١٢٧٣(٣٢٦٨) .

(٢) النووي: يحيى بن شرف محيي الدين أبو زكريا المعروف بـ (النووي) ولد سنة (٦٣١هـ) في نوى من ارض حوران من أعمال دمشق، توفي سنة (٦٧٦هـ) الإمام العلامة شيخ الإسلام محرر مذهب الإمام الشافعي له مصنفات كثيرة منها: المجموع شرح المهذب، شرح صحيح مسلم، ورياض الصالحين، والأذكار، ينظر: شذرات الذهب:٥/٣٥٤.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم : للنووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط/٢ ، ١٣٩٢هـ: باب: وحوب الوفاء ببيعة الخليفة الأول فالأول:٢/٢٣١ (١٨٤٢) .

(٤) عمدة القاري:١٦/٤٣ .

(٥) الحديث مر تخريجه ص:١٨ .

٥- إرتقاء العلماء إلى ما يجب أن يكونوا عليه من الإخلاص والتجرد والفهم وصلاح رسالتهم: فصلاح المجتمع الإسلامي وفساده قائم في نوع العلاقة بين العقيدة والسياسة والإجتماع، فلا بد أن تدور كل من السياسة والإجتماع في فلك العقيدة الصافية التي يمثلها هؤلاء العلماء المتصفون بالإخلاص والفهم والتجرد، فهي أساس صلاح المجتمع الإسلامي[١] .

٦- معالجة مشكلات الحياة الواقعية: فقد ركز علماء السلف على معالجة هذه المشاكل وعدم الإبتعاد عن قضايا المجتمع، ومساعدة الحكام على إدارة شؤون المجتمع ومجابهة التحديات[٢] .

(١) ينظر: هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس : للدكتور ماجد عرسان الكيلاني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م:١٠٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه:١٠٢ .

الخاتمة

نختتم بحثنا هذا بذكر ما توصلّنا إليه من نتائج وهي :-

١- إن قوام الأمة وحلقة وصلها واتحادها هم العلماء الربّانيين الذين هم على الصراط المستقيم والطريق الحق ، فيجب أن يكون هدفهم هو الدعوة إلى الإتحاد والألفة واجتماع القلوب والبعد عن الاختلاف والتفرق .

٢- إن العمل على توحيد الأمة وتنقية عقولها مما علق بها واجب على كل مسلم يرجوا الله واليوم الآخر .

٣- إن صلاح هذه الأمة وتوحيدها قائم على التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وإتباع ما كان عليه سلفنا الصالح في عصور الإسلام الأولى ، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلاّ بما صلح به أولها .

٤- الإبتعاد عن الغلو في الدين وإنتهاج الوسطية .

٥- إن الاختلاف وارد بين الأمة وهو أمر ضروري لا بد منه ، لأن الناس متفاوتون في أفهامهم وقوى إدراكهم لكن إذا جرَّ هذا الاختلاف إلى بغي الأمة بعضها على بعض فهو الاختلاف الذي ذمّه الله تعالى ونهانا عنه .

٦- إنتشار الجهل في الدين بين أفراد المجتمعات هو أقوى سبب لإفتراق الأمة واختلافها.

٧- بروز ظاهرة الفرقة والاختلاف في العصر الحاضر بين كثير من العاملين في مجال الدعوة بسبب التعصب وإتباع الأهواء .

٨- إن أمة الإسلام اليوم تواجه مؤامرات عظيمة منظمة في الداخل والخارج تقوم على تدبيرها دول عظمى تريد محاربة الإسلام والمسلمين ووحدتهم ، والمسلمون في سبات وغفلة فلا بد من إيقاظ العقول وكشف هذه المخططات والعمل على إضعافها .

٩- إن الأمة إذا افترت شيعاً توّعدها الله بإنزال العقوبات القدرية التي يجازي بها الله من حاد عن طريقه ولم يعتبر بالأمم السابقة .

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المصـــادر

* القرآن الكريم .

١. الإبريز من كلام سيدي الغوث عبدالعزيز: الشيخ أحمد بن المبارك، المطبعة العلمية . دمشق ١١٥٥هـ ١٧٤٢م .

٢. الأحاديث المختارة : أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي (ت ٦٤٣هـ) ، تحقيق : عبدالملك بن عبدالله بن دهيش ، مكتبة النهضة الحديثة . مكة المكرمة ط/١ ، ١٤١٠هـ .

٣. إحياء علوم الدين : محمد بن محمد أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) ، دار المعرفة . بيروت .

٤. الآداب الشرعية والمنح المرعية : الإمام أبي عبدالله محمد بن مفلح المقدسي (ت ٧٦٣هـ) ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط . عمر القيام ، مؤسسة الرسالة . بيروت ط/٢ ، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .

٥. إرشاد النقاد : محمد بن إسماعيل الصنعاني (ت ١١٨٢هـ) ، تحقيق : صلاح الدين مقبول أحمد ، الدار السلفية – الكويت ط/١ ، ١٤٠٥هـ .

٦. الإصابة في تمييز الصحابة : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار الجيل – بيروت ط/١ ، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢م .

٧. الإعتصام : أبو اسحاق الشاطبي ، المكتبة التجارية الكبرى – مصر .

٨. إعراب القرآن : أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨هـ) ، تحقيق : د. زهير غازي زاهد ، عالم الكتب . بيروت ط/٣ ، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م .

٩. الأعلام : للزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٠م ط / ٩.

١٠. إعلام الموقعين عن رب العالمين : أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت٧٥١هـ) ، تحقيق : طه عبدالرؤوف سعد ، دار الجيل . بيروت ١٩٧٣م

١١. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله (ت ٧٥١هـ) ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار المعرفة، بيروت ط/٢ ، ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م .

١٢. إقتضاء الصراط : أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس (ت ٧٢٨هـ) ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية – القاهرة ط/٢ ، ١٣٦٩هـ .

١٣. إيقاظ همم أولي الأبصار : صالح بن محمد بن نوح العمري(ت ١٢١٨هـ) ، دار المعرفة – بيروت ١٣٩٨هـ .

١٤. البحر المحيط : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي(ت ٧٤٥هـ) ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبدالموجود وآخرون ، دار الكتب العلمية . لبنان . بيروت ط/١ ، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م .

١٥. البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء (ت ٧٧٤هـ) ، مكتبة المعارف – بيروت .

١٦. بغية الطلب في تاريخ حلب : كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة ، تحقيق: د. سهيل زكار ، دار الفكر .

١٧. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق: د. عمر عبدالسلام تدمرى ، دار الكتاب العربي – لبنان . بيروت ط/١ ، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

١٨. التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ) ، تحقيق: السيد هاشم الندوي ، دار الفكر.

١٩. تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ، دار الكتاب العربي، بيروت (د. ت) .

٢٠. تاريخ خليفة بن خياط : خليفة بن خياط الليثي العصفري أبو عمر (ت ٢٤٠هـ) ، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري ، دار القلم ، مؤسسة الرسالة – دمشق ، بيروت ط/٢، ١٣٩٧هـ .

٢١. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل : أبي القاسم علي بن الحسن الشافعي (ت٥٧١هـ) ، تحقيق : محب الدين أبي سعيد بن غرامة العمري ، دار الفكر . بيروت ١٩٩٥م .

٢٢. التبيان في تفسير غريب القرآن : شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري (ت ٦١٦هـ) ، تحقيق : فتحي أنور الدابلوي ، دار الصحابة للتراث بطنطا . مصر ط/١ ، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .

٢٣. تحفة الأحوذي : محمد عبدالرحمن المباركفوري أبو العلا (ت ١٣٥٣هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت .

٢٤. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة : الامام شمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت ط/١ ، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م .

٢٥. التدوين في أخبار قزوين : عبدالكريم بن محمد الرافعي القزويني ، تحقيق : عزيز الله العطاري ، دار الكتب العلمية . بيروت ١٩٨٧م .

٢٦. تذكرة الحفاظ أطراف أحاديث المجروحين لإبن حبان : لمحمد بن طاهر بن القيلاني (ت ٥٠٧هـ) ، تحقيق / حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي . دار الصميعي ، الرياض ، ط / ١ ، ١٤١٥هـ .

٢٧. تربيتنا الروحيّة : سعيد حوّى ، دار السلام . القاهرة ط/٩ ، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م .

٢٨. التعريفات : علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ، تحقيق : إبراهيم الأنباري ، دار الكتاب العربي – بيروت ط/١ ، ١٤٠٥هـ .

٢٩. تفسير البغوي : البغوي ، تحقيق : خالد عبدالرحمن العك ، دار المعرفة . بيروت .

٣٠. تفسير السعدي : عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق : ابن عثيمين ، مؤسسة الرسالة . بيروت ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م .

٣١. تفسير الطبري : محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر (ت ٣١٠هـ) ، دار الفكر . بيروت ١٤٠٥هـ .

٣٢. تفسير القرآن العظيم : إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء (ت ٧٧٤هـ) ، دار الفكر . بيروت ١٤٠١هـ .

٣٣. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) : أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الشعب . القاهرة .

٣٤. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب : فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي (ت ٦٠٤هـ) ، دار الكتب العلمية . بيروت ط/١ ، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م .

٣٥. تقريب التهذيب: حمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق: محمد عوامة ، دار الرشيد – سوريا ط/١ ، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٣٦. التوقيف على مهمات التعاريف : محمد بن عبدالرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ) ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – بيروت ، دمشق ط/١ ، ١٤١٠هـ .

٣٧. جامع بيان العلم وفضله : يوسف بن عبدالبر النمري (ت ٤٦٣هـ) ، دار الكتب العلمية . بيروت ١٣٩٨هـ .

٣٨. حقائق عن التصوّف : الشيخ عبدالقادر عيسى ، دار العرفان . سورية ، حلب ط/١٩ ، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م .

٣٩. حلية الأولياء : أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) ، دار الكتاب العربي . بيروت ط/٤ ، ١٤٠٥هـ .

٤٠. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : أبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط / ٢ ، ١٤٠٥هـ .

٤١. الدر المنثور : عبدالرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، دار الفكر – بيروت ١٩٩٣م .

٤٢. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق: محمد عبدالمعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد. الهند ط/٢ ، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م .

٤٣. رسالة المسترشدين : أبي عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي البصري (ت ٢٤٣هـ) ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه : عبدالفتاح أبو غدة ، دار البشائر الإسلامية . بيروت ط/١١ ، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .

٤٤. روضة المحبين ونزهة المشتاقين : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله (ت ٧٥١هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .

٤٥. الزهد لابن حنبل : أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني أبو بكر (ت ٢٨٧هـ) ، تحقيق : عبدالعلي عبدالحميد حامد ، دار الريان للتراث – القاهرة ط/٢ ، ١٤٠٨هـ .

٤٦. سنن أبي داوود : سليمان بن الأشعث أبو داوود السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار الفكر .

٤٧. سنن البيهقي الكبرى : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ، مكتبة دار الباز – مكة المكرمة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .

٤٨. سنن الترمذي : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (ت ٢٧٩هـ) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي . بيروت .

٤٩. السنن والمبتدعات : محمد عبدالسلام خضر الشقيري ، تحقيق : محمد خليل هراس ، دار الفكر .

٥٠. سير أعلام النبلاء : محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبدالله (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة – بيروت ط/٩ ، ١٤١٣ هـ .

٥١. شذرات الذهب في أخبار من ذهب : عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) ، تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط ، دار بن كثير – دمشق ط/١ ، ١٤٠٦هـ.

٥٢. شرح النووي على صحيح مسلم : أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (ت ٦٧٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ط/٢ ، ١٣٩٢هـ .

٥٣. صحيح ابن حبان : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ) ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة . بيروت ط/٢ ، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م .

٥٤. صحيح ابن خزيمة : محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري (ت ٣١١هـ) ، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي – بيروت – ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م .

٥٥. صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير، اليمامة ، بيروت ط/٣ ، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

٥٦. صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي . بيروت .

٥٧. صفة الصفوة : جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، تحقيق : محمود مانوري . دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .

٥٨. الصواعق المرسلة : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي (ت ٧٥١هـ) ، تحقيق : د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة . الرياض ط/٣ ، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .

٥٩. طبقات الحنابلة : محمد بن أبي يعلى أبو الحسين (ت ٥٢١هـ) ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، دار المعرفة – بيروت .

٦٠. طبقات الصوفية: بو عبدالرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد الأزدي ، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية . بيروت ط/١ ، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م .

٦١. طبقات المفسرين للداودي : أحمد بن محمد الأدنه وي ، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي ، مكتبة العلوم والحكم . السعودية ط/١ ١٤١٧هـ ١٩٩٧م .

٦٢. العبر في خبر من غبر : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ) ، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت . الكويت ط/٢ ، ١٩٨٤ .

٦٣. العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية : محمد بن أحمد بن عبدالهادي بن قدامة المقدسي أبو عبدالله (ت ٧٤٤هـ) ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، دار الكاتب العربي – بيروت .

٦٤. عمدة القاري شرح صحيح البخاري : بدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٦٥. الفائق في غريب الحديث : محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، تحقيق: علي محمد البجاوي . محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة . لبنان ط/٢ .

٦٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، دار المعرفة . بيروت .

٦٧. فتح القدير : محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) ، دار الفكر – بيروت .

٦٨. الفقيه والمتفقه : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٢هـ) ، تحقيق : أبو عبدالرحمن عادل بن يوسف الغرازي ، دار ابن الجوزي . السعودية ط/٢ ، ١٤٢١هـ .

٦٩. فيض القدير شرح الجامع الصغير : عبدالرؤوف المناوي ، المكتبة التجارية الكبرى . مصر ط/١ ، ١٣٥٦هـ .

٧٠. القاموس المحيط : محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ) ، مؤسسة الرسالة . بيروت.

٧١. الكبائر : محمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، دار الندوة الجديدة – بيروت .

٧٢. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ) ، تحقيق : عبدالرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي . بيروت .

٧٣. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي ، تحقيق : محمود عمر الدمياطي ، دار الكتب العلمية . بيروت ط/١ ، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م .

٧٤. اللباب في تهذيب الأنساب : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري ، دار صادر – بيروت ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .

٧٥. لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ) ، دار صادر . بيروت ط/١.

٧٦. المتشابه في القرآن : ابن الجوزي ، دار الأنصار – القاهرة ط/١ ، ١٣٩٩هـ .

٧٧. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) ، دار الريان للتراث – دار الكتاب ، القاهرة – بيروت ، ١٤٠٧هـ .

٧٨. مجموع الفتاوى : أحمد عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس (ت ٧٢٨هـ) ، تحقيق : عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي ، مكتبة ابن تيمية ط/٢ .

٧٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ) ، تحقيق : عبدالسلام عبدالشافي محمد ، دار الكتب العلمية . لبنان ط/١ ، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م .

٨٠. المحكم والمحيط الأعظم : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة المرسي (ت٤٥٨هـ) ، تحقيق : عبدالحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية، بيروت ط/١، ٢٠٠٠م .

٨١. مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي (ت ٧٢١هـ) ، تحقيق : محمود خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون . بيروت ، طبعة جديدة ١٤١٥هـ ١٩٩٥م

٨٢. مختصر منهاج القاصدين : الإمام أحمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدسي ، تقديم وتحقيق : خالد بن محمد بن عثمان ، مكتبة الصفا . القاهرة ط/١ ، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م .

٨٣. مداراة الناس : أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبيد أبن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت ٢٨١هـ) ، تحقيق : محمد خير رمضان يوسف ، دار ابن حزم – بيروت ، لبنان ط/١ ، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .

٨٤. مرآة الجنان وعبرة اليقظان : أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (ت ٧٦٨هـ) ، دار الكتاب الإسلامي . القاهرة ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

٨٥. المستدرك على الصحيحين : محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) ، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية . بيروت ط/١ ، ١٤١١هـ ١٩٩٠م .

٨٦. مسند أحمد بن حنبل : أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني (ت ٢٤١هـ) ، مؤسسة قرطبة . مصر .

٨٧. مسند الشهاب : محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبدالله القضاعي (ت ٤٥٤هـ) ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة . بيروت ط/٢ ، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م .

٨٨. مشارق الأنوار على صحاح الآثار : القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت ٥٤٤هـ) ، المكتبة العتيقة ودار التراث .

٨٩. مشكاة المصابيح : محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي . بيروت ط/٣ ، ١٩٨٥م .

٩٠. المصباح المنير : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت ٧٧٠هـ) ، المكتبة العلمية . بيروت .

٩١. المعجم الأوسط : أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ) ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد . عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين . القاهرة ١٤١٥هـ .

٩٢. المعجم الكبير : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ) ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، مكتبة الزهراء ـ الموصل ط/٢ ، ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م .

٩٣. مفتاح دار السعادة : شمس الدين أبي عبدالله محمد بن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه : بشير محمد عيون ، مكتبة دار البيان ط/٢ ، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .

٩٤. مقاييس اللغة : أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، دار الجيل . بيروت ، لبنان ط/٢ ، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م .

٩٥. المهذب من إحياء علوم الدين : صالح أحمد الشامي ، دار القلم . دمشق ، الدار الشامية . بيروت ط/٢ ، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م .

٩٦. موارد الضمآن : علي بن أبي بكر الهيثمي أبو الحسن (ت ٨٠٧هـ) ، تحقيق : محمد عبدالرزاق حمزة ، دار الكتب العلمية . بيروت .

٩٧. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي (ت ٨٧٤هـ) ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي – مصر .

٩٨. النهايـة فـي غريـب الحـديث والأثـر : أبـو السـعادات المبـارك بـن محمـد الجـزري (ت ٦٠٦هـ) ، تحقيـق : طـاهر أحمـد الـزاوي . محمـود محمـد الطنـاحي ، المكتبة العلمية . بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .

٩٩. هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس : د. ماجد عرسان الكيلاني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .

١٠٠. الـوافي بالوفيـات : صـلاح الـدين خليـل بـن أيبـك الصـفدي ، تحقيـق: أحمـد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، بيروت – ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م .

١٠١. الوحـدة الإسـلامية : الإمـام محمـد أبـو زهـرة ، دار الفكـر العربـي ط/٢ ، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م .

١٠٢. وفيات الأعيان : ابن خلكان ، القاهرة ، ١٩٤٨م .